قصص القرآن

للأطفال

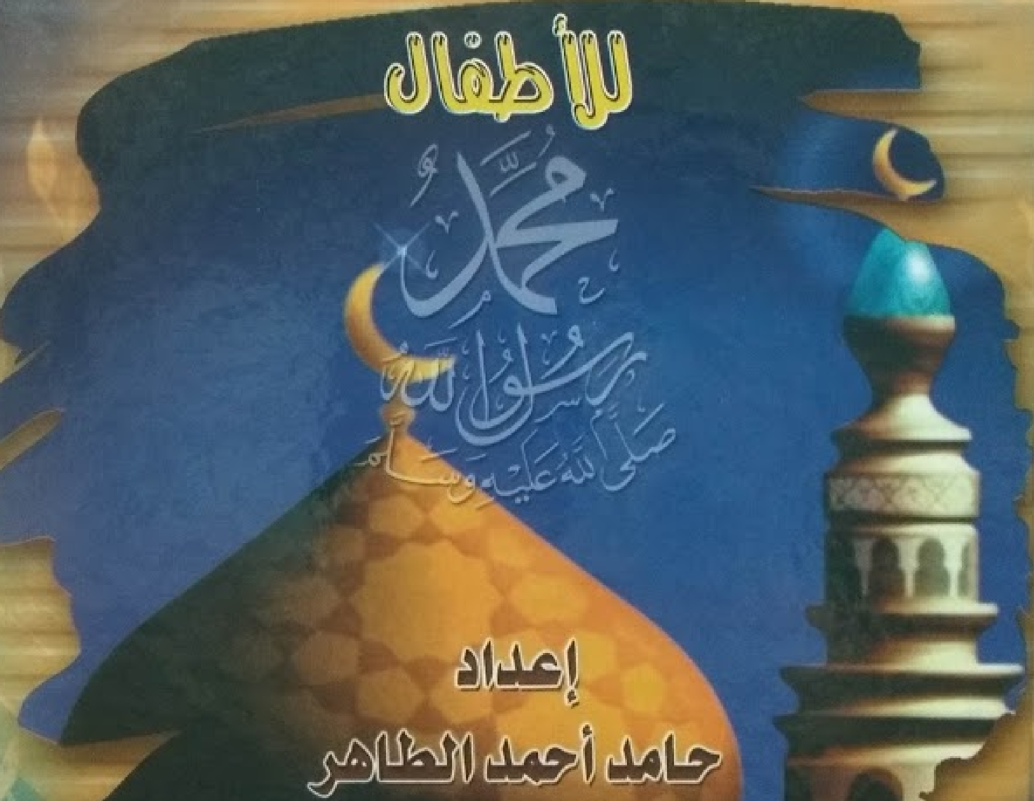

إعداد
حامد أحمد الطاهر

دار المعرفة

قصـــص القرآن

للأطفال

إعداد

الأستاذ / حامد أحمد الطاهر

دار المعرفة

حقوق الطبع محفوظة

دار المعرفة
الدار البيضاء - المغرب

دار المعرفة
40 شارع فيكتور هيجو
فاكس: 0522 441049
هاتف: 0522 441050
0522 309520
daralmaarifabennis@gmail.com
الدار البيضاء - المغرب

لمؤسسها الحاج أحمد بنيس رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] قابيل وهابيل

عصى آدم ربه وأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه في الجنة، وهبطت معه حواء إلى الأرض حين أكلت هي الأخرى من هذه الشجرة. وراح الشيطان يضحك منهما بعد أن نجح في الوسوسة لهما فطُردَ هو الآخر من الجنة، وهبط ثلاثتهم إلى الأرض. وأحس آدم وحواء بالندم على عصيانهم لله تعالى، وأما الشيطان فقد كان فرحاً بأنه أضلّ آدم وحواء، وعلم آدم وقتها أن الشيطان عدواً له ولذريته من البشر جميعاً[١].

وكان آدم قد نزل من الجنة على جبل في بلاد الهند.

أما حواء فكانت قد هبطت على جبل في أرض الحجاز ولم يكن أحدهما يعرف طريقاً للآخر، ولم يكن على الأرض سواهما. فبكى آدم وتاب إلى ربه، وهكذا فعلت حواء، وقبل الله توبتهما، ووعدهما بالعودة إلى الجنة مرة أخرى.

لكن لا زال كُلٌّ منهما وحيداً على سطح هذه الأرض الواسعة، فراح آدم ينظر فلا يرى أحداً، وينادي فلا يسمع إلا صوته هو، وتذكر يوم أن كان في الجنة، وكانت الملائكة تطوف حول عرش الله تعالى وتُسبِّحُه[٢] وتقدس[٣] له، فقال آدم:

– يا رب وحدي أنا الذي أسبحك في هذه الأرض الواسعة، أليس من أحد آخر يسبح لك؟

فوعده الله تعالى أن يجعل من ذريته وأبنائه من يُسبحون بحمد الله، ويبنون المساجد للصلاة ولذكر الله تعالى، وأن من هذه المساجد سيكون

(١) انظر قصة آدم عليه السلام، في «قصص الأنبياء للأطفال».

(٢) تسبحه: تقول سبحان الله وتحمده: تقول: الحمد لله.

(٣) تقدسه: تنفي عنه العيب.

مسجد هو بيت الله الحرام، يحج إليه الناس، ويطوفون به، ويأتون إليه من كل فج عميق[١]، وهو أول بيت لله يُبنى في الأرض. فقال آدم: يا رب وأين هذا البيت الحرام العتيق؟

فأخبره الله تعالى أنه بِمَكّة بلد الله الحرام.

وأحس آدم بالشوق والحنين لزيارة بيت الله الحرام بمكة، فلما علم الله كمه صدقه، أمره أن يذهب إلى مكة حيث بيت الله الحرام ليطوف به ويذكر ربه عنده.

وجرى آدم، واشتد جريه، وهو يتمنى أن يطوف حول بيت الله كما كانت ملائكة الله تطوف بالبيت المعمور في السماء، وحول عرش الله تعالى، وكأنما نبت لآدم ريش وجناحان، فوصل سريعاً إلى مكة وهناك ومن بعيد رأى ظلاً لإنسان آخر.

فلما اقترب تيقّن أنها امرأة فأسرع نحوها وقلبه يكاد يقفز من بين أضلعه فلقد لقيها أخيراً إنها هي: حواء.

ولقد كان اللقاء بمكة على جبل من جبالها تعارفا على قمته فسُمّي (عرفات).

وانطلق آدم وحواء إلى بيت الله الحرام بمكة فوجداه ياقوتة واحدة فطافا به، وذكرا الله كثيراً ثم بدأت رحلة العودة إلى بلاد الهند حيث هبط آدم من الجنة.

كانت رحلة ممتعة رائعة، وكان فرح آدم بتوبة الله عليه عظيماً، ولكن هي الحياة تعبٌ كلها، فقد بدأت المتاعب.

ففي الجنة لم يعرف آدم ولا حواء جوعاً ولا عطشاً أما على وجه الأرض، فالجوع والعطش عنوانان لبطن الإنسان.

لقد شعر آدم وكذلك شعرت حواء بآلام في البطن، ولم يستطع آدم أن يمشي، بل لم يقدر على النوم، وراحت رأسه تدور، وعيناه لا تريان جيداً.

---

(١) فج عميق: طريق بعيد، وبلاد بعيدة.

فنزل جبريل فإذا بآدم يصف له ما يشعر به من آلام، فقال جبريل:

- هذا هو الجوع يا آدم.

فقال آدم متعجباً: الجوع؟! فماذا أفعل؟!

فقال: ادع الله أن يطعمك ويشبعك.

وسالت دموع آدم وعبراته على خديه حين تذكر نفسه في الجنة يأكل من شجرها ويشرب من مائها.

فيا له من نعيم زال! ويا لها من راحة ذهبت ومضت! دعا آدم ربه، وفعلت حواء نفس الشيء.

ولكن لم يسكت صراخ البطن، وزاد الصريخ، وعلا، وارتفع، حتى كاد الجوع أن يتحول إلى قاتل يُزْهِق[١] روح آدم وحواء، فاشتدا في الدعاء، وابتهلا إلى الله.

ونزل جبريل ومعه حبات من قمح فقال لآدم بعد أن وضع الحبات في يديه:

- هذا طعامك يا آدم، هذا الذي أخرجك من الجنة.

ففرح آدم فرحاً شديداً فقال:

- آكله الآن؟!

فقال جبريل: لا بل ابذره في الأرض.

وبذر آدم حبات القمح في الأرض، فأنبتها الله تعالى في لحظتها، ففرح آدم، وقال لجبريل:

- آكلها الآن يا جبريل؟

فقال: لا، بل احصدها أولًا.

فقال آدم: وكيف يكون الحصاد[٢]؟

---

(١) يزهق الروح: يقتل الإنسان.

(٢) الحصاد: جمع الثمار بعد أن تنبت.

فعلَّمه جبريل كيف يحصد القمح، فراح آدم يحصد حبات القمح، والجوع يكاد يقتله، وليس له حيلة إلا أن يفعل ما يأمره به جبريل.

وإنه لينظر لحواء التي تبكي من شدة الجوع هي الأخرى، فيعمل أكثر وأكثر، وانتهى آدم من الحصاد فحمد ربه، ثم قال لجبريل:

- الآن آكل أنا وحواء.

فقال جبريل: لا، ولكن افرك الحبّ أولًا.

فقال آدم والتعب يكاد يقتله . . . : وكيف أفرك؟

فعلمه جبريل كيف يفرك الحبّ، ففركه سريعاً، وظنّ آدم أن موعد الأكل قد حان بعد أن فرك البذور إلا أن جبريل سريعاً ما قال له:

اذره(١) الآن.

فقال آدم: وكيف؟

فعلَّمه جبريل، فبدأ آدم يذرو القمح وحبات العرق تتنزل من جبينه على أنفه وفمه وخديه، وتحول الجوع في بطن آدم إلى وحش كاسر يعضها.

وما أن انتهى آدم حتى مدّ يده إلى الحبات يأكلها، إلا أن جبريل قال:

- اطحنها يا آدم أولًا.

فقال آدم الجائع بصوت مخنوق: وبأي شيء أطحنها؟

فجاء جبريل بحجرين وضع أحدهما فوق الآخر وقال: بهذه الرحى.

وبدأ آدم في طحن الحبوب بالرحى(٢) بين الحجرين.

وبدأت أنفاس آدم تتقطع وهو يطحن الحبوب، وهو لا يفكر في شيء إلا في إطعام نفسه وزوجته، وانتهى الطحن، ومدّ آدم يده ليأكل فقال جبريل: اعجنه أولًا يا آدم.

(١) اذره: أي فرق ما بين الحب الذي يؤكل والذي لا يؤكل.

(٢) الرحى: آلة لطحن الحبوب مكونة من حجرين أحدهما فوق الآخر.

وآدم الآن قد تضجَّر[١] وأصابه التعب، ولم يفارقه الحزن وهو يتذكر الفردوس[٢] الذي طُرد منه، كأنما يقول:

- يا ليتني ما عصيت الله، ولا أكلت من الشجرة.

لقد راح جبريل يعلم آدم كيف يعجن، فعجن آدم القمح بعد أن صار دقيقاً، وبينما آدم يعجن إذ به ينظر إلى جبريل فقال جبريل:

- بعد أن تعجنه، اخبزه أولًا لتأكله.

فقال آدم: وكيف؟

قال: أشعل ناراً.

- ومن أين لي بالنار يا جبريل؟

فقال: اجمع بعض الأغصان والفروع الجافة من الأرض.

ففعل آدم وعاد إلى جبريل فأخذ جبريل حجرين فضربهما ببعضهما فخرجت شرارة صغيرة من النار فاحترقت الأغصان، واشتعلت النار.

وأراد آدم أن يضع العجين لِيُخْتبز فأحرقته النار، فتألم وصرخ، فقال جبريل: عصيت الله فأحرقتك النار يا آدم.

وصار العجين خبزاً، فحمله آدم وحبات العرق التي تتساقط منه تكاد تطفئ النار، وألم الجوع يكاد يقتله، ودموع عينه تنهمر من فرط حزنه على خروجه من الجنة، وانتهى الخَبْزُ فقال جبريل لآدم: الآن . . . الآن كُلْ يا آدم.

وحمل آدم الخبز لحواء، فبدآ يأكلان.

فلما أكلا ذهب الجوع، فلما ذهب الجوع، تذكر آدم وحواء طعام الجنة الشهي، وتذكرا أمر الله لهما بعدم الأكل من الشجرة، وتذكرا لحظة خروجهما من الجنة، فبكيا، وعلا صوت البكاء.

---

(١) تضجر: ملّ.

(٢) الفردوس: الجنة.

لقد انتهت أيام السعادة والراحة في الجنة، وبدأت أيام قاسية هي أيام الدنيا، ولا عودة للجنة إلا بعد الموت، فيا لها من مدة طويلة.

ما أقسى أيام الأرض إذا قورنت بأيام الجنة!!

هذا هو لسان حال آدم وحواء، فلا زالا وحدهما في هذا الكون الواسع يعملان، ويكدحان ليس معهما معين ولا مساعد، وأنزل الله تعالى إلى آدم شريعة[١] وتعاليماً.

وكان آدم يقول: أنا وحواء وحدنا لا ثالث معنا، فإلى مَنْ تكون الشريعة والتعاليم غيرنا.

وتذكّر آدم أن الله وعده أن أولاده سيملؤون الأرض، فانتظر متى يولد له الأولاد.

وحملت حواء، وفرح آدم لأنه سيصير أباً، وقاست حواء ما تقاسيه النساء في شهور الحمل من التعب والألم، وكادت تموت أكثر من مرة قبل أن تضع ما في بطنها، وجاءت الساعة المرتقبة التي ستضع فيها حواء ما في بطنها، فوهبها الله ولداً وبنتاً أي توأماً من الذكر والأنثى.

ونظر آدم إلى وليديه فسمّى الولد (قابيل) والبنت (إقْلِيميَّاءُ) وكانت جميلة جذابة من نظر إليها لا يمل من وجهها.

ولم تمض إلا أشهر معدودات حتى حملت (حواء) بذرة جديدة بين أحشائها[٢]، وذاقت مرارة الحمل مِراراً[٣] إلى أن جاءها المخاض[٤]، فكانت الثمرة توأماً جديداً (ذكر وأنثى) فكان الولد هو (هابيل) والبنت (لُبُودا)، وشبَّ الأبناء الأربعة سوياً في حجر آدم عليه السلام.

(١) أي ديناً.

(٢) أي أنها حملت مرة أخرى.

(٣) مراراً: أكثر من مرة.

(٤) المخاض: وقت الولادة.

وعلى عين الأم الحنونة (حوّاء)، وكانت (إقليمياء) أكثر جمالًا وحيوية من (لبودا)، ولم يكن هذا يشغل آدم الذي أحبّ أولاده جميعاً بغير تفرقة.

وحين كبر الصغار بدؤوا يساعدون آدم عليه السلام في أعماله، فاختار قابيل زراعة الأرض وحرثها، والقيام عليها حتى ينبت الزرع فيحصده، ويطعم منه عائلته.

واختار هابيل رعي الأغنام والماشية في الحقول الخضراء، ليشربوا من لبنها، ويأكلوا من لحمها، ثم تصنع من أصوافها، وأشعارها، وأوبارها(١) أثاثاً(٢)، وملابس، وأغطية.

وأما (إقليمياء) و(لبودا) فكانتا في الدار مع حواء تخدمانها، وتساعدانها في أعمال المنزل.

واجتمعت أسرة آدم حول الطعام بعد أن غابت الشمس في الأفق.

وبدأ الجميع في تناول الطعام إلا أن (قابيل) و(هابيل) كُلٌّ منهما راح يسترقُ(٣) النظرات إلى الجميلة (إقليمياء) حتى فضحتهما عيناهما التي تركزت على (إقليمياء) الجميلة.

ولم يَخفَ ذلك على آدم الذي أحسّ الآن بأن الشابين (قابيل وهابيل) قد أصبحا في سن الزواج وأن عليه أن يزوجهما.

ولأنه لم يكن على وجه الأرض إلا هؤلاء فقط فقد كانت شريعة آدم ودينه يقولان بتزوجهم من بعضهم.

ولكن على شرط أن يتزوج من غير البطن التي لم تولد معه في بطن واحدة، وبذلك يتزوج (قابيل) من (لبودا) التي ولدت مع هابيل.

ويتزوج (هابيل) من (إقليمياء) الجميلة التي ولدت مع قابيل(٤).

(١) الأوبار: جمع (وبر) وهو شعر الجمل.

(٢) أثاثاً: الأثاث هو ما يوضع في البيت من فراش وغيره.

(٣) يسترق: يسرق.

(٤) وبعد أن كَثُرَ الناس تغيرت هذه الشريعة ولم يَعُدْ جائزاً أن يتزوج الأخ بأخته بل حُرِمت عليه أبداً.

وعزم آدم على أن يحدث ولديه في أمر زواجهما بعد الإنتهاء من الطعام.

وانتهى آدم وأبناؤه من الطعام فقال وهو يبتسم إلى ولديه:

- آن الأوان، لنرى أولادنا وأحفادنا، فليتزوج قابيل وهابيل.

وفرح الولدان، وخجلت البنتان حتى احمرّ وجهيهما، ثم تابع آدم كلماته قائلًا:

- فليتزوج قابيل من لبودا، وهابيل من إقليمياء.

وفرح الجميع إلا قابيل الذي صرخ صرخة الغاضب قائلًا:

- لن يتزوج هابيل من إقليمياء، إنها لي وحدي، وأنا أحق بها من هابيل.

فأراد آدم أن يهدئ من ولده فقال:

- يا قابيل إن الله حرّمها عليك، وإنها لا تحل إلا لهابيل، فأطع الله.

قال قابيل:

- لا لن أطيع إلا نفسي، إقليمياء لقابيل ليست لهابيل، وليتزوج قابيل من لبودا وأحس قابيل بنارٍ تتوقد في صدره وقلبه، ونظر إلى (إقليمياء) فوجدها أجمل بكثير مما كان يراها كأنها الشمس التي أضاءت الليل، ولم يكن يدري أن عدوه هو الذي أوقد هذه النار في صدره وقلبه . . . . . . إنه الشيطان!!

خرج قابيل والغيظ يكاد يقتله، ومشى ناظراً إلى الأرض لا يعلم إلى أين يريد؟ أو إلى أي مكان يذهب ويسير[١]؟ ولا شيء في عقله إلا (إقليمياء).

ووجد الشيطانُ قابيل فريسة سهلة، فراح يوسوس له، ويتسلل إلى قلبه قائلًا:

(١) يسير: يمشي.

- هابيل . . . . ذلك الذي يفضله عليك آدم، ويحبه، وسيزوجه الجميلة (إقليمياء) تاركاً إياك مع القبيحة (لبودا).

وراح الشيطان يزيد من نار العداوة ويشعلها فيقول لقابيل:

- هابيل الراعي الذي لا يتعب في شيء، وقابيل الفلّاح الذي يصحو مبكراً، ويرعى الأرض، ويحرثها ويحصد الحب، ويفركه، ويذروه. . . ثم بعد ذلك يزوجونه (لبودا) القبيحة، ويفوز هابيل (بإقليمياء) ليس هذا بالعدل.

ونسي قابيل أن كل عملٍ له متاعبه ومشقته، وأن راعي الغنم يتعب في رعي أغنامه، وهو الذي يحافظ عليها من الذئاب، ويداوي المريض منها، ويسقيها ويطعمها، ويتعهدها بالرعاية.

ولكن علا صوت الشهوة وارتفع، وأقسم قابيل أن إقليمياء له وحده، وليكن ما يكون وعاد إلى بيته فوجد أباه لا يزال مستيقظاً وعلامات الحزن على وجهه، فقد تسلل الشيطان إلى ولده وهو يحب قابيل وهابيل على قدرٍ واحد، فقال آدم:

- يا قابيل: قرِّب قرباناً - أي شيئاً من زرعك تهبه لله تعالى، ويقرب هابيل قرباناً من غنمه، فأيكما تَقَبَّل الله قربانه فهو زوج (إقليمياء).

وقَبِل الإثنان الفكرة، فاستعدا لتقديم القربان إلى الله تعالى.

أما آدم فقد جاء وقت الحج فذهب إلى الكعبة يطوف بها، فترك الهند إلى مكّة، واستعد الأخوان قابيل وهابيل لتقديم القربان إلى الله تعالى.

كانت علامة قبول الله تعالى للقربان أن تنزل نارٌ بيضاء من السماء تأكله، أما إذا لم يقبل الله هذا القربان فإنه يظل على الأرض ليفسد فلا يقربه إنسٌ ولا حيوانٌ ولا طائر.

وخرج هابيل إلى غنمه وماشيته فاختار أسمنها، وأجملها، وأقواها ليقدمها إلى ربه عزّ وجلّ فإنه يحب الله، ومن أحب الله فليقدم خير ما عنده، وقد فعل هابيل.

أما قابيل الذي لا يحب إلا نفسه فقد خرج إلى زرعه وأرضه فاختار

شرّ ما أخرجت أرضه من حب وزرعٍ ليقدمها قرباناً لربه، فهو الذي لا يحب إلا نفسه، فلن يقدم لغيره إلاّ شرّ مّا يملك.

ووضع الإثنان قربانهما على قمة جبل من الجبال، وانتظرا قضاء الله فيهما.

ومرَّ الوقت، وهابيل يعلم أن قربانه سيقبله ربه، وقابيل يُمنِّي نفسه كذباً بأنه هو الفائز، ولكن النتيجة قد عرفت مقدماً: سيقبل الله قربان هابيل.

ونزلت النار من السماء بيضاء كأنها الرمح القاتل الذي يعرف صاحبه أين مَرْمَاهُ، فأخذت سريعاً قربان هابيل فسجد شكراً لله، وبقي قربان قابيل الظالم لم يتقبله الله.

وسارع الشيطان بالحضور فجاء إلى قابيل عن يمينه، وعن شماله، ومن أمامه، ومن خلفه، ومن بين يديه صارخاً فيه: إقليمياء ضاعت منك، لقد دعا آدم ربه ليتقبل قربان هابيل، وتركك وحدك فافعل شيئاً.

فصرخ قابيل في وجه هابيل: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾.

فقال هابيل باطمئنان وسكينة:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ[١] بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧-٢٩].

ثم انصرف هابيل، وكان قابيل أقوى من هابيل إلا أنه لم يُطع الشيطان، ولم يسمع له، فلن يؤذي أخاه، ولو كان الثمن هو عمره وحياته.

وجاءت الأفكار السيئة إلى رأس قابيل كأنها الأمواج العالية في بحر مظلم، لقد انتهت كل الحيل وسيتزوج هابيل بإقليمياء.

وراح يمشي في الأرض حيران حتى حملته قدمه إلى داره، فلم ينم ليلته وهو الذي يرى أن السماء والأرض ضده لصالح هابيل.

ولعب الشيطان برأسه، كما يلعب الصبيان بالكرة، ومرّ الليل ومضى، وجاء الصبح وقابيل على رأي واحد:

(١) تبوء: تستحق، والإثم هو الذنب.

- لأقتُلَنَّك يا هابيل.

وخرج هابيل يرعى غنمه، ومن بعيد كانت عينا قابيل تراقبه، وبينما هابيل منهمك في عمله إذ جاء قابيل بصخرة كبيرة من ورائه فضربه على رأسه فسالت دماؤه، وخرّ قتيلًا.

وانفجر الشيطان ضاحكاً قد كسب جولة جديدة في معركة ضد آدم، أخرجه أولًا من الجنة، ثم ها هو الآن يشهد قتل الأخ لأخيه.

وصار قابيل أمام جسد هابيل الميت بلا حركة، وما يدري ما الذي سيفعله.

فحمل جثة أخيه على كتفه وظلَّ يمشي بها لا يعلم ما العمل؟ وبينما هو تَعِبٌ قد أعياه[١] المسير إذ رأى غرابان يقتتلان حتى قتل أحدهما الآخر.

فإذا بالقاتل يحفر حفرة في الأرض ليضع فيها المقتول، فعلم قابيل أن الله قد بعث له هذين الغرابين فبكى وقال:

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ[٢] أَخِيۖ﴾ [المائدة: ٣١].

ثم قام إلى الأرض فحفر لأخيه ووضعه فيها ليكون أول قبر في الأرض، لأول قتيل يحفره أول قاتل.

فلقد قتل قابيل سُدْس سُكان الأرض في ذلك الوقت.

وعاد آدم من حجه ليجد أحد أولاده قتيلًا والآخر قاتلًا، فإذا بالأرض لا تمتص دماء هابيل، والنبات ينبت له شوك بعد أن كان بغير شوك، والحيوانات تفر من الإنسان بعد هذه الجريمة البشعة.

ورأى آدم ولده قابيل قد أخذ إقليمياء وجرى بها بعيداً، فقال:

- اذهب غضب الله عليك، وغضبي عليك وعلى من يفعل مثلما فعلت.

---

(١) أي أجهده وأتعبه وأضناه.

(٢) أواري: أستر وأدفن، سوءة: عورة.

لقد كان الجزاء من جنس العمل فقد قتل قابيلَ أحد أولاده، وصار كل قتيل يقتل على وجه الأرض يضاف ذنب قاتله إلى قابيل لأنه القاتل الأول.

أما آدم فقد أعطاه الله ولداً مباركاً هو (شيث) عليه السلام ، فانتصر الخير على الشر ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧-٣١].

الدروس المستفادة

(١) عداوة الشيطان للإنسان، فلا نطيعه، بل نجعله عدواً لنا.

(٢) المعاصي سبب لغضب الله تعالى، والطاعة سبب للرحمة.

(٣) أن ننفق من خير مالنا وخير ما نملك لله تعالى.

(٤) طاعة أمر الله وعدم عصيانه، والتزام شريعته سبحانه.

الأسئلة

- أكمل الآتي من بين الأقواس:

١ - كان نزول آدم من الجنة على قمة جبل في بلاد .....
(القمر - السند - الهند)

٢ - التقى آدم وحواء في مكان تعارفا فيه فسمي .....
(عرفات - عرضات - أرضيات)

٣ - كان قابيل قد ولد في بطن واحدة مع .....
(إيمليا - إيدليا - إقليميا)

- أجب بكلمة واحدة:

- مكان يسكنه المؤمنون ليس فيه جوع ولا عطش بل نعيم دائم.
- رحلة يقوم فيها الإنسان بالطواف حول الكعبة وذكر الله تعالى.
- فعلٌ سيءٌ قام به قابيل ضد هابيل.

- ما معنى الكلمات الآتية:

أواري	سوءَة .....
يسترق	يبوء .....

- ماذا استفدت من القصة؟

الإجابات

(الهند - عرفات - إقليمياء).

(الجنة - الحج - القتل).

(أستر - عورة أو جثة - يسرق - يستحق).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[٢] هاروت وماروت

حيث الملكوت الأعلى، وفي السماوات اجتمعت ملائكة الرحمن يتهامسون ويتذكرون يوم أن قال الله تعالى لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

فقالوا وقتها: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا(١) وَيَسْفِكُ(٢) ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

فقال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وعلّم الله تعالى: ﴿ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وأسكنه الجنة وخلق له حواء لتكون زوجته وشريكته حتى عصى آدم ربه فأُهْبط إلى الأرض.

وكثر عدد أبناء آدم من البشر بعد أن تكاثروا فازداد نسلهم وعددهم، وصارت الأرض مليئة بالذنوب.

فخلفاء الله في أرضه عبدوا الأصنام التي صنعوها من الحجارة وسجدوا لها، وراحو يملؤون أيامهم باللهو، حتى قتل الإنسان أخاه، وسرقه وظلمه.

كل هذا والملائكة تكتب أعمال بني آدم في صحف صارت أَسْوَد(٣) من الليل الشديد الظلام وعندئذ قالت الملائكة:

- هؤلاء هم خلفاء الله في أرضه يعصونه وكيف هذا وهو سبحانه الذي اختارهم؟

فقال الله تعالى: - لو خلقتكم مثلهم لفعلتم ما يفعلون(٤).

(١) فيها: أي في الأرض.

(٢) يسفك الدماء: يقتل.

(٣) أَسْوَد: أشد سواداً.

(٤) لأن الملائكة خلقوا من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون ولا يعصون الله تعالى.

فقالت الملائكة: يا رب سبحانك ما كان لنا أن نعصاك.

فقال الله تعالى:

- اختاروا ملكين منكم.

فاختارت الملائكة هاروت وماروت وهما من خير الملائكة عبادة لله تعالى.

على أرض (بَابِل)[١] كان الجمال يسير جنباً إلى جنب مع الفتنة، فالخمور في كل مكان، وأصوات الموسيقى من الحانات المليئة بالفساد والفاحشة[٢].

وها هي جماعة من الناس التفت حول جارية ترقص وتغني.

وآخرون يغافلون الناس ويسرقونهم أثناء انشغالهم بمشاهدة الرقص والغناء.

كان كل هذا على مرأى ومسمع من (هاروت وماروت) فقد نزلا إلى الأرض بإذن الله بعد أن صار كلٌّ منهما إنساناً كبقية بني آدم جميعاً فيه حب الشهوة للطعام، والشراب، والزواج.

لقد كانت (بابل) هي المدينة الوحيدة التي يمكن أن ينزل فيها (هاروت وماروت) فهما لا زالا يحتفظان بجمالهما الملائكي وبياضه الذي يبهر القلوب والعيون، ولو نزلا في مكان آخر لما تركهما الناس ولصارا فتنة ولكن بابل مدينة الفتنة والجمال بحق.

وبعد طول مسير أحسَّ هاروت بالتعب فقال:

- أحس بشيءٍ في صدري، وآخر في رأسي، وكأن جسدي جبلٌ لا تستطيع قدماي أن تحمله من شدة ثقله.

فقال ماروت:

(١) بابل: دولة عظمى قديماً كان لها حضارة ويسمى أهلها (البابليون) ومكانها الآن في بلاد العراق.

(٢) الفاحشة: الأفعال القبيحة.

- وكأنك تصف ما أشعر به أنا الآخر، ولكن ألماً آخر أشدَّ في بطني.

فقال هاروت:

- إنه صوت الجوع يا صديقي لقد أصبحنا بشراً بعد أن كنا ملائكة لا نأكل ولا نشرب، بل نسبح الله ونقدسه.

ونظر هاروت إلى السماء كأنما يدعو ربه أن يطعمه، وإذا برائحة شواء لحم تنبعث فتدخل إلى أنفيهما فتملأهما.

فهب الإثنان في رحلة البحث عن الطعام، وجالا ببصرهما حولهما حتى وجدا بعض الناس يأكلون، فاقترب كلاهما من مكان الطعام حتى صارا على بعد خطوات من الطعام ولا زال الجوع يفعل بهما الأفاعيل.

ولكن منعهما كبرياؤهما من التسول في (بابل) أو طلب الطعام.

ولكن كيف يعلو فوق صوت الجوع صوت أو صيحة؟! لقد ذهبا فجلسا بالقرب من أصحاب الطعام ينظران إليهم.

فرآهما الناس فدعوهما إلى الطعام فجلسا يأكلان حتى شبعا.

وسكت صراخ البطن وصيحته، وبدأ الملكان في النظر إلى من أكلوا معهم، واستوقفتهم بحسنها وجمالها، وشعرها المسدل على أكتافها، ووجهها الذي يبدو كالقمر ليلة البدر، إنها الزُّهْرَة جميلة الجميلات في بابل، ولكن سرعان ما تذكرا أنهما قد أخطآ، وأن عليهما التوبة والاستغفار من هذا الذنب، وكاد الحياء أن يقتلهما، وظهر الندم سارياً على وجهيهما.

ولكن ما أن يذهب الندم حتى تعود الشهوة مرة أخرى فيطيلان النظر إلى (الزُّهرة)، ويصرخ في صدر كُل منهما صوت الإيمان فيعلو فيستغفران الله تعالى.

وكان الحل الأوحد أن ينصرفا من هذا المجلس فقاما سريعاً يستغفران ربهما، وبعد أن ابتعدا قليلًا بدأ كل منهما يحس برغبة شديدة في النظر إليها فالتفتا ولكن سرعان ما عادا إلى السير مرة أخرى.

سار (هاروت وماروت) صامتين لا يتكلمان، ولكنّ سؤالًا واحداً يفرض نفسه عليهما:

- ما هذا الذي فعلناه؟ عصينا الله تعالى، ونظرنا إلى ما حرّم علينا.

فنظر هاروت إلى ماروت وقال:

- نفس البشر الخبيثة تدفعني إلى أن أعصي الله، فيا لخبث نفس البشر.

قال ماروت:

- لعلك تشعر بما أشعر به الآن.

- نعم وأخاف أن يكون مصيرنا هو النار مثل أولئك العاصين.

- لا ..... لا تخف سنهزم هذه الشهوة، سنقهر تلك النفس، سنستغفر الله ونتوب إليه ومضى الملكان إلى مكان بعيد عن البشر حيث لا معصية.

وبدأت الشمس في المغيب حتى صارت قرصاً أحمر كأنه الذهب الأحمر الخالص، ثم بدأت تزول حتى ما بقي منها شيء، وهجم الليل بظلامه على النهار، وطلعت نجومه في السماء حتى صارت تملؤها في مهرجان سماوي رائع.

وكان (هاروت وماروت) قد غرقا في الصلاة والتسبيح لله تعالى، يستغفرانه عما فعلا من الذنوب.

واشتدت ظلمة الليل، واستعد الكون للنوم ولا زال الملكان في صلاتهما، ولم يفق كُلٌّ منهما إلا على صوت الريح التي راحت تُزَمْجِر[١] كأنها عويل المرأة الثكلى[٢] في صغيرها.

وذاق الملكان شعوراً جديداً من المشاعر الإنسانية هو (الرُّعب).

ثم عرفا البرد حين اقشعر جسدهما من شدة البرد والريح، فقررا الدخول مرة أخرى إلى المدينة حتى يقضيا على الرعب، والبرد، وانطلقا الملكان.

قال هاروت:

- لقد عاد تارة أخرى.

---

(١) تزمجر: تصدر أصواتاً عالية.

(٢) عويل: صوت النائحة، الثكلى: التي فقدت عزيزاً لها.

فقال ماروت:

- مَنْ الذي عاد؟

- الجوع يا صاحبي، وحش كاسر يعض في بطني.

- آه صرنا عبيداً لبطوننا، الويل لهذه البطن التي لا تعرف الشبع.

قال هاروت: فلنبحث عن طعام آخر.

ماروت: وإذا وجدنا طعاماً وشبعنا ألن نجوع مرة أخرى؟

- لا بد من عملٍ إذنْ لنشتري طعاماً.

- وأي عمل نقوم به؟

- دَعْ أمرك لله، وسنجد عملًا إن شاء الله نُرْزقُ منه مالًا وخيراً وفيراً.

وإذا كانت (بابل) نهاراً هي مدينة الفتنة والجمال فإنها بالليل مدينة السَّكَارى يَتَرَنَّحُون(١) لا يقوى أحدهم على حمل نفسه من كثرة شربه للخمر، ومدينة الفساد الذي لا ينقطع أبداً.

ولمح هاروت وماروت جُموعاً(٢) حاشدة ينهجون نحو قصر هائل فخم، فذهبا معهم حتى دخلا إلى قصر كبير كل ما فيه ينطق بالعظمة والغنى، فوجدا نفسيهما في قاعة فسيحة(٣) قد مُدَّت فيها الموائد(٤) المليئة بأشهى الأطعمة، والفواكه اللذيذة المختلفة، وعلى رأس المائدة جلس رجل يلبس ثياب يبدو عليها الأناقة، والثراء الفاحش.

ولكن لم يلتفتا إلا إلى الطعام الذي سيسكتان به ذلك الجوع القاتل، وأشار إليهما الرجل صاحب الثياب الفاخرة بالجلوس والأكل ففعلا، وبينما يأكلان كانت عينا الرجل تراقبهما عن قرب، وقُدِّم الخمر لهما فرفضا لأنهما لا يشربانه، فدُهش الرجل منهما من أهل بابل ولا يشربان الخمر فكيف؟

---

(١) يترنحون: يتمايلون.

(٢) أي عدداً كبيراً من الناس.

(٣) قاعة فسيحة: واسعة.

(٤) مُدّت الموائد: أي فرشت الموائد بأشهى الأطعمة والمفرد (مائدة).

وسريعاً فهم (هاروت وماروت) أن الرجل ما هو إلا ملك بابل وأن من حوله هم الوزراء والأمراء.

وتحدث الملك فسكت الجميع، واتجهت أنظار الجميع إليه، وكان حديث الملك يدور حول نزاع وخصام بينه وبين أحد الحاضرين في أرض يملكها.

فالملك يريد أخذ أرضه دون وجه حق، وانتهى الملك من كلامه، واستعد مَنْ في القصر جميعاً ليحكموا للملك بغير حق، غير أن الملك لم يهتم ونظر إلى هاروت وماروت فقال:

- أحب أن يحكم ضيفانا في هذه القضية.

ونظر الجميع إليهما وليس من شك في أنهما سيحكمان لصالح الملك ولو كان مخطئاً.

ولم يكن يدور بخُلْد أحد أنهما من الملائكة الذين لا يعرفون إلا العدل، فحكما بالعدل والحق، وأعادا الحق لصاحبه.

ولم يكتف كُلٌّ منهما بهذا بل أعلنا أن الملك مُخطئ، ومن الظلم أن يأخذ ما ليس له بغير حق.

وساد الصمت القصر كله في انتظار قرار الملك الذي قال بصوت عالٍ:

- قد وليتكما القضاء في بابل.

وخرج الوزراء يضربون كفاً بكف، بدلًا من أن يأمر بسجنهما أو قتلهما، أمر بجعلهما قاضيين فيا لسعادة الرجلين.

وهكذا حصل هاروت وماروت على وظيفة في بابل بعد أن فوّضا الأمر إلى الله.

* * *

داخل القصر الملكي حصل (هاروت وماروت) على جناح يعيشان فيه، فلا برد، ولا جُوع، ولا رعب ولا حاجة لهما بسؤال الناس الطعام بعد ذلك.

فكان أول ما فعلا شكر الله تعالى، والصلاة له سبحانه، والتقديس، لكن قلبيهما لم يعرف الخشوع والصفاء الذي كان يصاحبهما من ذي قبل.

فهذه هي حياة البشر الضعفاء التي عابوها عليها في السماء عليهم، وجاء ضيف جديد إليهما لم يعرفانه من ذي قبل إنه النوم، إن عينيهما تغلقان وجسدهما متعب بشدة، وفتح هاروت عينه سريعاً فقال:

- الموت يا ماروت! هل سنموت؟

- لماذا يا صاحبي؟

- أشعر بأن جسدي متعب، وعيناي تغلقان بشدة

- إنه نفس ما أشعر به، إنه الموت

- لا أظن أنه الموت إنه شيء آخر يا ....

لقد تثاءب وهو يتكلم، وانقطع كلامه، وسكت صوته، وسكنت أنفاسه وهدأت فقد نام الملكان لأول مرة، فإن الملائكة لا تعرف النوم.

وطلعت شمس يوم جديد، لتكون أول شمس تشرق عليهما وهما على وجه الأرض، ولما تنفس الصبح كان هاروت قد استيقظ فقال لماروت الذي كان يفتح عينيه:

- ما ألذّ النوم بعد التعب والجهد.

فقال ماروت: أحس كأني خلقت من جديد يا صاحبي.

وبدآ العمل مبكراً، فبدآ القاضيان هاروت وماروت يقضيان بين الناس في قضاياهم وخصوماتهم وكان قضاؤهما بالعدل، مما أرضى الناس جميعاً، وذاع صيتهما داخل بابل.

وكان موعدهما مع الصلاة بعد الانتهاء من القضاء حيث يحمدان الله ويقدسانه، ولا مانع إذا دعاهما الملك لطعامه أن يشاركهما دون أن يشربا الخمر.

ومضت الأيام سريعاً، ولا زال (هاروت وماروت) يحكمان بين الناس بالعدل، ولا يعصيان الله حتى جاء اليوم الموعود الذي بدأت فيه المتاعب.

لقد حضرت إليهما في قضية، فرأياها من جديد، إنها هي بعينيها الجميلتين، وشعرها الرائعِ، ووجهها الوضَّاء إنها: الزُّهرة.

وتذكراها فخفق القلب، وجرت الدماء الساخنة في عروقهما، وتعجّب كُلٌّ منهما لما يحدث في قلبه، إن قلب البشر عجيب يخاف، يحب، يكره، يتمنى فيا لروعة الخالق.

وراحت الزّهرة تعرض قضيتها وقصتها، وهما في وادٍ آخر، ينظرون إليها دون الاستماع إلى ما تقول، وكلما أراد أحدهما الامتناع عن النظر أحسّ أن قوة تدفعه للنظر فينظر أكثر وأكثر، واشتعل في القلب لهيب لا ينطفي، وأثناء هذا انتهت الزُّهرة من عرض قضيتها فقالت:

- هذه قضيتي، وأنا في انتظار حكم القاضيين بالعدل.

فقال هاروت: إن أمرك يحتاج إلى دراسة تعالي إلينا في الغد.

فقال ماروت: القول ما قال السيد هاروت عُودي إلينا غداً سيدتي.

ونظرت الزُّهرة إليهما فقاما إليها يودعانها فلما انصرفت أحس كُلٌّ منهما بالندم فقال ماروت في عتاب:

- لماذا أجّلت القضية للغد؟

- لا أدري إنها أمور لا تحتمل يا صاحبي.

- أخشى أن ندخل النار بسبب هذه المرأة، فَلْنَتُب إلى الله تعالى.

جاءت الزهرة في اليوم التالي سريعاً إلى مجلس القضاء منتظرة حكم القاضيين (هاروت وماروت) ولم يكن هاروت وماروت ليذوقا النوم في ليلتهما السابقة.

وقد تعاهدا على عدم النظر إلى الزُّهرة بل قتل الشهوة داخل نفسيهما.

ودخلت الزهرة فما أن نظرت إليهما وتبسمت حتى نسي هاروت العهد، ونسي ماروت توبته، وتحدثا معها حتى حكما لها بغير العدل والحق، ثم قامت لتنصرف، فقالا:

- إلى أين؟

قالت: إلى المعبد أصلي للشمس[١] تعاليا معي.

فقالا: وماذا نفعل؟

- تصليان معي

- لا لن نسجد لغير الله.

ولكن تركتهما وخرجت، وعاد كل واحد منهما يلوم نفسه فقد تذكرا العهد الذي قطعاه.

فقال هاروت: إن رحمة الله واسعة فلنتب إلى الله.

وناما ليلتهما دون صلاة ولا استغفار، فلما أشرقت الشمس وطلع النهار توجه كليهما إلى الزّهرة لا إلى مجلس القضاء.

فلما دخلا عليها قدّمت لهما خمراً فامتنعا عن الشُّرب إلا أن الزّهرة غضبت منهما، فأرادا مصالحتها فأبت[٢] إلا أن يشربا فشربا، وبدأت الخمر تلعب برأسَيْهِما.

وجاء أحد الزائرين للزّهرة فرأى (هاروت وماروت) في بيتها فظهر عليهما الإرتباك، وخطر ببالهما أن الرجل سيفضح أمرهما.

وتحت تأثير الخمر قام هاروت ليخنق الزائر، ومعه كان ماروت ينهي حياة هذا المسكين الذي لم يكن ذنبه إلا أنه رآهما.

وطارت الخمر من رأسيهما فأفاقا، فشعرا بالحزن والهم، وأرادا الطيران إلى السماء لكن كيف وقد أثقلتهم الذنوب، فسمعا من السماء منادياً يناديهما.

- اختارا عذاباً في الدنيا أو في الآخرة.

فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فلا يزالان يعذبان حتى يوم القيامة.

---

(١) وكان أهل بابل كفاراً لا يعبدون الله تعالى.

(٢) أبت: رفضت.

الدروس المستفادة

(١) التوبة الصادقة من الذنب خيرٌ من الإستمرار فيه.

(٢) الملائكة مخلوقات من نور لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتزوجون، ولا يعصون الله ما أمرهم.

(٣) الإنسان إذا أطاع شيطانه وعصى الله فهو، ضعيف، فإذا تاب إلى الله فهو قويٌ يهزم شيطانه.

الأسئلة

- اذكر جمع هذه الكلمات:

(مَلَكْ - مائدة - جميلة - مَلِكْ)

*** دارت أحداث هذه القصة في بلد من بلاد العالم القديم فما اسمها؟**

- من هم؟

- مخلوقات من طين، أبوهم آدم، وأمهم حواء، وعدوهم الشيطان، وهم خلفاء الله في الأرض.

- مخلوقات من نور لا يأكلون ولا يشربون، ولا يعصون الله تعالى.

- مخلوقات من نار أبوهم إبليس، ولا يطيعون الله ويعصونه دائماً، ويأمرون الإنسان بعصيان الله.

- أكمل الآتي:

- اختارت الملائكة ..... و ..... للنزول إلى ..... فنزلا إلى مدينة ..... مدينة الجمال ..... وعينهما الملك ..... فحكما أولًا بـ........ ثم شربا ..... لما أحبّا ..... فعذبهما الله في الدنيا حتى يوم .....

الإجابات

(ملائكة - موائد - جميلات - ملوك).

(بابل).

(الإنس البشر - الملائكة - الشياطين).

(هاروت ـ ماروت ـ الأرض ـ بابل ـ الفتنة ـ قاضيين ـ بالعدل ـ الخمر ـ الزّهرة ـ القيامة) .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[٣] ذو القرنين ويأجوج ومأجوج

كثير من الناس إذا ملكوا رقاب العباد ظلموهم ولم يعدلوا بينهم، مثلما فعل فرعون مع موسى، والنمرود مع إبراهيم، فأخذهم الله أخذ عزيزٍ مُقْتدر.

إلا أن هناك صنف آخر من الناس يعطيه الله الملك والعدل والرحمة، ومن هؤلاء (ذو القرنين) ذلك الملك العادل المؤمن.

إنه رجلٌ ولد في الزمن القديم وهو من نسل سام ابن نوح عليهما السلام، عاش في قصر أبيه وكان ملكاً من الملوك فلما مات أبوه صار ملكاً على مملكة أبيه من بعده.

وخرج (ذو القرنين) بجيشه يبحث عن حقيقة الإيمان حتى لقي نبي الله إبراهيم عليه السلام، فأسلم على يديه وطاف معه حول الكعبة حتى عاد إلى بلاده مرة أخرى.

كان اسم ذي القرنين هو (هُرمُس) لكنه أحب لقب (ذي القرنين) لأنه طاف في مشرق الأرض ومغربها حتى وصل إلى قرني الشمس، ولو نظرت إلى الشمس لرأيتها تخرج ولها مثل قَرْنَي الثَّور.

وكان (هُرْمُس) يلبس خوذة[١] فيها قرنين فسمي (بذي القرنين).

وأعطى الله (ذا القرنين) وزراء من رجال الإيمان والحق، فالخضر[٢] عليه السلام كان وزيراً له وصاحب الشورى والرأي عنده، فطاف البلاد معه، وعلّمه من علم الله الذي لم يطلع عليه أحداً إلا الخضر.

وجهز ذو القرنين جيشاً ليدعو الناس إلى الله تعالى.

(١) الخوذة: غطاء للرأس من حديد.

(٢) انظر قصة موسى والخضر عليهم السلام من هذا الكتاب.

وكان قائد الجيش هو ذو القرنين، وعلى مقدمة الجيش كان الخضر عليه السلام، ومعهما كان ملك من الملائكة هو (زنافيل) الذي أخبر ذا القرنين عن مكان عجيب يُسمَّى (عيْن الحياة) مَنْ شرب منها عاش دهراً[١] طويلًا.

ووصف (زنافيل) مكان عين الحياة لذي القرنين فعزم على الذهاب إليها، فظل سائراً بجيشه حتى بلغ مكاناً وادياً مليئاً بالأخطار والظلمات.

واهتدى الخضر إلى عين الحياة فشرب منها، إلا أن ذا القرنين لم يدرك هذه العين ولم يَرَهَا.

وفي قصر من القصور لقي ذو القرنين بعض الملائكة فأعطوه حجراً ثميناً، فأعطاه ذو القرنين لجيشه وعلمائه يسألهم عن سر هذا الحجر وكان حجراً صغيراً، فوضعوه في كفة، ووضعوا ألف حجر في كفة أخرى فرجحت كفة الحجر الثمين.

فقال الخضر لذي القرنين:

- هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يُدْفَن في التُراب.

وفهم ذو القرنين ما أرادت الملائكة تعليمه له، إنها الحياة قصيرة عُمرها، وابن آدم مهما أغناه الله يظل طامِعاً في المال والغنى حتى يدخل إلى قبره فلا يملأ جوفه إلا التراب، فلا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، والتراب فقط لا سواه.

وهكذا أعطى الله ذا القرنين كل شيء أعطاه العلم في الدين، والملك في الدنيا، والقوة والسلاح والحاشية[٢] من العلماء يهدونه إلى الخير والصَّلاح.

واستمر ذو القرنين يدعو إلى الله في رحلة إيمانية يقود فيها جيشه بنفسه بحثاً عن غير المؤمنين لينشر في الأرض الإيمان والعدل، ويهدي الناس إلى صراط الله المستقيم.

---

(١) دهراً: زمناً.

(٢) الحاشية: من يحيطون بالملك من الرجال والوزراء.

كان ذو القرنين قد تعلّم لغات أهل الأرض جميعاً فكان يُكلِّم كل شعب بلُغته، وكان يعرف كافة الطُّرق، وإنما عرفها بهداية الله تعالى إياه.

ووصل ذو القرنين إلى غرب الأرض حيث مغرب الشمس فرآها تغيب في عَيْنٍ حَمِئَة أي أنه رأى الشمس تغيب كأنها طين أسود، ثم غابت داخل الأوقيانوس[١] وإنما رأى الشمس كأنها طين أسود من شدة الحرارة والاشتعال فيها، وأوحى الله إلى ذي القرنين فقال:

- إما أن تُعذب، وإما أن تَتَّخِذَ فيهم حُسْناً.

فخيرّه الله بين تعذيب أهل هذه الأرض أو العدل بينهم لأنهم كانوا كفاراً، فقال ذو القرنين:

-﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا[٢] ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

لم يكن ذو القرنين نبياً ولكن الله تعالى كان يُلْهِمهُ ما يفعل وما يقول، لأن الله تعالى أحبّه لكثرة طاعته لربه، وفعله للخير والعمل الصالح، وبعد المسير إلى مَغْرب الشمس، أراد الوصول إلى مشرقها فانطلق جيشه الجرار ليرى عجباً جديداً في أرض الله.

نحو مشرق الشمس كان جيش ذي القرنين يسير ليرى عجائب خلق الله تعالى، وصار يفتح البلاد بلداً تِلْو الأُخرى، ومن كفر عذّبه أو قاتله حتى آمن بالله تعالى، وفي الطريق كان يرى من المؤمنين عباداً يرحبون به، فيقيم بينهم زمناً يعلمهم شريعة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وما أروع ما لقيه من خلق الله في طريقه: جبالٌ شاهقة عالية، بحار واسعة، صحراء صفراء قاحلة، أراضي خضراء، مخلوقات عجيبة من خلق الله، منها ما يطير، ومنها ما يعيش فوق الأرض، أو يبيت في جحر تحت الأرض.

---

(١) الأوقيانوس: المحيط الهادي قديماً.

(٢) نكراً: فظيعاً.

اثنا عشر عاماً كانت طول هذه الرحلة حتى وصل إلى مشرق الشمس وهناك رأى عجباً آخر من خلق الله، وجد قوماً حُفَاةً عُراةً[١]، ليس بينهم وبين الشمس سِتْر أو حجابٌ فلا بيوت يسكنونها يحتمون من الشمس فيها.

ووجد ذو القرنين عظاماً فسأل أهل هذا المكان عنها فقالوا:

- هذه عظام جيش سبقكم إلى هنا فأحرقتهم الشمس حتى ماتوا.

ونظر ذو القرنين فوجد أهل هذه الأرض قد حفروا الأرض حتى بنوا تحتها بيوتاً يحتمون فيها من الشمس فإذا غربت خرجوا منها كأنهم البهائم ترعى في حقل من الحقول.

فعلمهم ذو القرنين كيف تُبنى البيوت التي تحميهم من الشمس، ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد فآمن كثير منهم بالله وحده لا شريك له، ثم استمرت رحلة ذي القرنين، فانطلق بجيشه باحثاً عن مكان جديد، وخلق آخرين يدعوهم إلى الله.

يأجوج ومأجوج مخلوقات عجيبة غريبة من خلق الله، لهم أشكال وأحجام وأجسام تصيب الإنسان بالدهشة والإستغراب، وهم من ذرية يافث ابن نُوح عليه السلام، أمدّ الله في أعمارهم وأَكثر من نسلهم.

أما أحجامهم فمنهم من هو على طول الشبر.

وآخر على طول الأُرز.

وآخر طوله وعرضه سواء.

وآخر ينام قد فَرَش أُذُناً ينام عليها، وتغطى بالأخرى، لهم أنياب كالسباع ومخالب كالقط، وشعور طويلة تقيهم وتحميهم من الحرّ والبرد، لا يموت الواحد منهم حتى يولد له ألف رجل.

وهم كفار لا يؤمنون بالله، لصوص لا يحبون العمل، يؤذون مَنْ

(١) أي بلا ملابس ولا أحذية.

حولهم من البشر فيأكلون زروعهم، وحبوبهم، وكل ماشيتهم، ويشربون الماء فلا يبقون منه شيئاً.

وكانوا قد جاوروا قوماً من البشر العاديين في مكان يسمى (بين السدين) فإذا جاء الليل خرجوا إلى حقولهم الخضراء فأكلوا زروعهم وثمارهم، وسرقوا الماشية، وكلما ادخر هؤلاء شيئاً من الحبوب أو المحاصيل سرقوه، حتى جاع أهل هذا المكان، وتملّكهم الرعب الشديد من يأجوج ومأجوج.

ووصل ذو القرنين إلى (بين السدين) فوجد هؤلاء البشر الذين ذاقوا مُرَّ الحياة من يأجوج ومأجوج.

وواجهت ذو القرنين مشكلة فهو لا يفهم لغة هؤلاء الناس، وهم لا يفهمون لغته، حتى هداه الله إلى طريقة يفهم بها ما أرادوه، فقد عرضوا عليه عرضاً فقالوا:

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾(١) [الكهف: ٩٤]؟

فقال: - ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾(٢) [الكهف: ٩٥].

فطلب العون من الله أولًا، ثم استعان بالناس، ليعلمهم أن قوة الإيمان أولًا، ثم قوة البشر ثانياً.

وبدأ ذو القرنين يبني في السّد، يساعده جيشه وهؤلاء الناس.

* * *

قال ذو القرنين: - ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦] - أي قطعة عظيمة من الحديد - فأعطوه هذه القطعة.

فبدأ ذو القرنين يقيس ما بين الصدفين وهما الجبلان المحيطان بهذه الأرض.

---

(١) خرجاً: مالًا وأجرة، سداً: حاجزاً.

(٢) مكني: أعانني، ردماً: سداً، أعينوني: ساعدوني.

ثم أمرهم بحفر الأرض حتى يلقي فيها أساساً متيناً يبني عليه السَّدَ.

فحفروا معه بأيديهم حتى وصلوا إلى الماء تحت الأرض، ثم بدأ ذو القرنين يحفر حول جانبي هذا الأساس حتى بلغ ما بين الجبلين مائة فرسخ[١]، وبلغ عمق الحفرة وحدها خمسين فرسخاً.

ثم بدأ في إلقاء الأساس داخل هذه الحفرة، فألقى صخوراً، ورمالًا، وماءً لتتماسك الرمال والصخور.

ثم أوقد ناراً عظيمة بمساعدة هؤلاء الناس، وبعد أن حَمِيَت النار وضع عليها النحاس، فذاب النحاس في النار، فصبّه على الصخور في هذه الحفرة، فصار النحاس المُذاب كأنه عرق من الأرض.

فلما بلغ الأساس الأرضَ وسُدَّت الحفرة تركها حتى تماسك النحاس، فكان هذا هو الأساس القوي الذي سيُبنَى عليه السَّدُ.

وبدأ ذو القرنين في عملٍ آخر في هذا السد، فقد بنى السدَّ بأعمدة من الحديد وضعها ثم أشعل ناراً أخرى، وأذاب النُحاس فيها ثم وضعه فوق الحديد، فخلط بين الحديد والنحاس فصار السدّ قوياً متيناً بين الجبلين لا يستطيع أحدٌ أن يهدمه حتى يأجوج ومأجوج أنفسهم.

ثم قال ذو القرنين: - ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ[٢] وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

* * *

وفي اليوم التالي حاول يأجوج ومأجوج أن يهدموا السَّدَ ليأكلوا زروع هؤلاء الناس، ويسرقوا حبوبهم إلا أنهم لم يقدروا على ذلك، وعجزت مخالبهم وأنيابهم عن هدم هذا السَّد المنيع.

ولقد جعل الله لهم وقتاً يخرجون فيه إلى الأرض ويهدمون فيه هذا السد، فقبل يوم القيامة يجعل الله علامات له، ومن هذه العلامات خروج يأجوج ومأجوج.

---

(١) الفرسخ: ثلاثة أميال.

(٢) دكاً: متساوياً بالأرض.

فهم في كل يوم يحاولون هدم هذا السّد حتى يحفروا فيه حفرة صغيرة يرون منها شعاع الشمس، ثم يقول زعيمهم: ارجعوا فستحفرونه غداً.

فيعودون إليه في اليوم التالي ليجدوا السد عاد كما كان فلا حفرة فيه، ولا شعاع شمس فيحفرون من جديد.

ولا يزالون على هذه الحال حتى إذا جاء وعد الله قال زعيمهم:

ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله.

ثم يأتي وعد الله الذي جاء على لسان ذي القرنين ليصير السّد دكّاءاً وكأن (إن شاء الله) كلمة السر، فيعودون إليه فيجدون الحفرة فيواصلون الحفر حتى يهدموا بقية السد.

ثم يبدؤون في الخروج إلى أهل الأرض، وأكل الزروع، والحبوب، والماشية، وشرب الماء حتى لا تبقى في الأرض نقطة ماءٍ واحدة.

في الوقت الذي يتجمع فيه المسلمون في مكان واحد مع نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام (١) الذي ينزل في آخر الزمان، ومع المسلمين بعض الطعام، وكثيرٌ من الماشية والأغنام.

أما يأجوج ومأجوج فإنهم بعد أكل ثمار الأرض وشرب مائها، يرمون بسهامهم إلى السماء فتعود وفيها دماءٌ فينادي أحدهم قائلًا:

- هزمنا أهل الأرض والسماء.

فيبعث الله عليهم حشرات صغيرة اسمها النغف فتقتلهم جميعاً حتى يهلكوا.

فإذا ماتوا خرج المسلمون من مكانهم، ثم تأتي طيرٌ من السماء تأكل جثث يأجوج ومأجوج، وينزل مطر من السماء يبعدها عن الأرض.

فإذا كان يوم القيامة دخل يأجوج ومأجوج إلى النار جزاءً لهم على أعمالهم السيئة، وكفرهم بالله.

---

(١) انظر قصة عيسى عليه السلام في «قصص الأنبياء» للأطفال.

عاد ذو القرنين إلى بلاده بعد نجاح رحلته الإيمانية، وجاءه ملك الموت ليقبض روحه الطاهرة، وكان ذو القرنين قد وصّى أمه فقال لها:

- إذا مِتُّ يا أمي، فاصنعي طعاماً، واجمعي فيه نساء المدينة، ثم قولي:

- لا تأكل من هذا الطعام من فقدت ولداً أو بنتاً لها.

فلما مات ذو القرنين، صنعت أمه الطعام، ثم أرسلت إلى نساء المدينة فَجِئْنَ إليها، فلما وضع الطعام قالت:

- لا تأكل من هذا الطعام من فقدت ولداً أو بنتاً لها.

ولم تمتد يد واحدة منهن إلى الطعام، فقالت أم ذي القرنين:

- عجباً .... كُلُّكُن ثكالى[1]؟!

فقلن: نعم

فعلمت أن ابنها الذي عاش ألف سنة أراد أن يعلمها أن الجميع سيموت، وأنها ليست وحدها التي فقدت ابنها.

(١) ثكالى: جمع (ثكلى) وهي التي مات ولدها أو بنتها أو زوجها أو عزيزاً لها.

الدروس المستفادة

(١) أن الإنسان المؤمن لا بد أن يكون عادلًا غير ظالم إذا كان في مكان يحكم فيه بين الناس.

(٢) ضرورة العمل والعلم للإنسان.

(٣) الاعتماد على الله أولًا حتى لا يصيب الإنسان الغرور فينسى ربه.

(٤) استخدام العلم الحديث في كل شيء كما فعل ذو القرنين في بناء السد.

(٥) الأموال وحدها لا تكفي لحماية الإنسان فلا بد من قوة تحفظ المال والعلم.

(٦) الموت حق على كل بني آدم مهما طال العمر.

الأسئلة

- أكمل هذه العبارات:

- عاش ذو القرنين واسمه ..... في الزمن القديم وكان عمره ...... سنة، فآمن بـ...... ثم طاف الأرض ومعه جنوده حتى بلغ ..... الشمس أولًا ثم وجدها تغرب في عين ......، ثم واصل المسير إلى مشرق ..... وهناك وجد قوماً ..... يسكنون الأرض، ثم واصل السير حتى وصل إلى .....

- من هو؟

- وزير مؤمن كان في جيش ذي القرنين؟

- قوم كفار من نسل يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لصوص ولهم أشكال غريبة؟

- ملك من الملائكة كان صديقاً لذي القرنين؟

- كلمة واحدة عبر بها عن هذه المعاني:

- البناء المهدوم المتساوي بالأرض.

- قوم يحيطون بالملك من الوزراء والأمراء.

- النساء اللاتي يفقدن عزيزاً لهن.

- غطاء للرأس من حديد.

الإجابات

(هُرمس - ألف - بالله - مغرب - حمئة - الشمس - تحت - بين السدين).

(الخضر - يأجوج ومأجوج - زنافيل).

(دكّاء - الحاشية - الثكالى - الخوذة).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[٤] مُوسى والخضرِ عليهما السلام

وقف نبي الله موسى[١] عَلَيْهِ السَّلَامُ خطيباً في بني إسرائيل يأمرهم بطاعة الله تعالى، فقام أحدهم فقال:

- أي الناس أعلم[٢]؟

فقال: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- أنا أعلم الناس.

فأوحى الله إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِمَ زعمت أنَّك أعلم الناس؟ ولم ترد العلم إلى الله لتقول: الله أعلم فاستغفر موسى ربه سبحانه، ثم قال:

- ولكن يا رب من هو أكثر علماً مني؟

فقال الله تعالى: - إن لي عبداً بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ[٣]، هو أَعْلَمُ منك.

فقال موسى: يا رب كيف لي أن أصل إليه؟

فقال الله تعالى: خذ معك حوتاً في مِكْتَل[٤]، وانطلق إلى مجمع البحرين، وفي المكان الذي ستفقد فيه الحوت سوف تجد هذا العبد.

وأسرع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والشوق يملأ قلبه للقاء هذا العبد المؤمن الذي علّمه الله من العلم ما لم يعلمه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنادى غلامه وفتاه (يوشع بن نون) وأمره أن يصطاد حوتاً ويضعه في مكتل ففعل.

ثم بدأت الرحلة العلمية، نبي الله وفتاه يبحثان عن عبد الله الأكثر علماً!!

---

(١) انظر قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في «قصص الأنبياء» للأطفال.

(٢) أي من هو أكثر الناس علماً.

(٣) لا يُعرف بالتحديد أين مجمع البحرين، وإن كان بعض العلماء ذكر أنها المنطقة الممتدة بين خليجي السويس والعقبة والله أعلم.

(٤) حوت: سمكة كبيرة. المكتل هو: الزمبيل.

لم يكن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من محبي المغامرات أو الأسفار[١] قدر ما كان يحب العلم ويريد الحصول عليه ولو كان في آخر بلاد العالم من أجل ذلك خرج مع فتاه (يوشع بن نون) في البحث عن العبد الصالح الذي علّمه الله من علمه، وها هو موسى وفتاه قد وصلا إلى مَجمِعَ البحرين.

وبجوار صخرة كبيرة نام موسى وفتاه حيث حلّ بهما التعب الشديد، أثناء نومهما خرج الحوت من المكتل وكانت الصخرة قريبة من البحر، فعاد الحوت سريعاً إلى البحر مسروراً بعودة الحياة إليه. وقام موسى من نومه هو وغلامه، وواصلا السير في مجمع البحرين بحثاً عن العبد الصالح، وأحس موسى وفتاه بالجوع الشديد فقال موسى:

- ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[٢] [الكهف: ٦٢].

وفتح (يُوشع) المكتل فلم يجد الحوت، فظن أنه نسيه عند الصخرة فقال:

- ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾[٣] [الكهف: ٦٣].

وعلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سيجد العبد الصالح هناك كما أخبره الله تعالى فإن علامة ذلك أن يفقد الحوت، وحيث فقد الحوت لقيه وتعلم منه.

وعاد موسى وفتاه إلى الصخرة ليجدا عجباً من عجائب الله تعالى.

كان الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عبداً صالحاً من عباد الله علّمه الله علماً لا يعرفه أحد من البشر، وكان الخضر قد شرب من عين ماء تُسمى (عين الحياة) من شرب منها طال عُمْره.

---

(١) الأسفار: جمع (سفر) وهي الرحلات.

(٢) أي وجدنا التعب من كثرة السفر.

(٣) أي نعود إلى الصخرة التي نمنا عندها لعلنا نجد الحوت هناك، وسبيله: طريقه.

ولقد عاش الخضر حتى أسلم مع رسول الله ﷺ ومات بعدها.

وكان قد جلس على فروة بيضاء فإذا بها تهتز خضراء من ورائه فسمّي الخضر.

وكان يجول في البلاد ينفذ أمر الله تعالى، ويدعو العباد إلى عبادة رب العباد.

وعند مجمع البحرين، وتحت الصخرة كان الخضر يصلي لله تعالى متغطياً بثوب أحمر فسلم عليه موسى فقال:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فرد الخضر التحية: وعليك السلام، من أنت؟

فقال: موسى.

- موسى نَبِيُّ بَنِي إسرائيل؟

قال: نعم، وما اسم العبد الصالح؟

- الخضر يا موسى. فما جاء بك؟

قال: أتَّبِعُكَ على أن تعلمني من العلم الذي علمك الله إياه.

فقال الخضر: يا موسى إني على علم علمني الله ما لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمك الله إياه لا أعلمه أنا، وإنك لن تستطيع الصبر على ما ترى يا موسى، وكيف تصبر على علم لا تعرف عنه شيئاً.

فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا * قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا﴾(١) [الكهف: ٦٩، ٧٠].

فكان هذا هو الشرط الذي قبله موسى، يسير مع الخضر ليرى ويسمع دون أن يتكلم، حتى يتحدث معه الخضر في النهاية ويذكر له أسرار هذا العلم، ومضى العبد الصالح، والنبي المرسل، ويا للعلم الذي صار به الأنبياء تلامذة لبعض العُبَّاد!!

---

(١) أي حتى أكلمك أنا أولًا عنه.

وأي رحلة أروع وأجمل من رحلة تلميذها نبي، وأستاذها عبد صالح، وبدأت رحلة العجائب.

***

انطلق موسى والخضر عليهما السلام حتى وصلا إلى شاطئ البحر، وشربا من عين الحياة.

فمرّت سفينة، فنادى الخضر عليهم فعرفوه، فركب معهم هو وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعرف أصحاب السفينة الخضر فقبلوا أن يحملوه معهم على السفينة بغير نَوْل[١] وانتظر موسى ما سيعلمه هذا العبد الصالح، فوقف معه على طرف السفينة، وجاء عصفور فوقف على حرف السفينة ثم مدّ منقاره في البحر فشرب قطرة ماء فلم تعجبه ملوحة الماء فطار بعيداً فقال الخضر لموسى:

- يا موسى إن مثل علمي وعلمك وعلم الناس جميعاً في علم الله مثل نقرة هذا العصفور في البحر.

وأدرك موسى أنه أمام حكيم من الحكماء، فازداد إعجاباً وتقديراً للخضر، ووسط هذا الإعجاب تحدث مفاجأة! وبينما أصحاب السفينة - وكانوا فقراء مساكين - منشغلين بالصيد، إذا بالخضر يقصد إلى لوح من ألواح السفينة فيخلعه.

وهنا ثار موسى وهاج وقال:

- قوم حملونا بغير نول، تخلع لوحاً من سفينتهم فتخرقها، ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[٢] [الكهف: ٧١].

ولكن الخضر نظر في طمأنينة وسكينة فقال لموسى:

- ألم أقل لك يا موسى ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢].

---

(١) نول: أجرة وعطاء.

(٢) تخرقها: تثقب، إمراً: شيئاً منكراً.

فتذكر موسى الشرط والعهد الذي قطعه على نفسه فلا سؤال ولا اعتراض، فقال:

- لا تُؤاخذني بما نَسِيت ولا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمري عُسْرا[١].

ثم انطلق من جديد، فقد غفر الخضر لموسى نسيانه في المرة الأولى.

النسيان والتسرع والعجلة عيوب الجنس البشري، فلقد نسي آدم فأكل من الشجرة وتعجل أمر الله تعالى فكان عقابه أن يهبط إلى الأرض، وقد ورث كل بني آدم هذه الصفة حتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نسي ما تعهد به للخضر بأن لا يسأله عن شيء حتى يفسر هو حقيقة الأمور، وقد عذر الخضر موسى.

ثم انطلق به ليعلمه درساً جديداً، ويطلعه على سرٍ أكثر عجباً.

نزل الخضر وموسى من السفينة إلى قرية من القرى فوجدا صبياناً يلعبون ويمرحون، كأنهم الملائكة في براءتهم لم يعرفوا الخطأ من الصّحة بعد.

فإذا بالخضر يختار أجمل الصبيان الذين يلعبون فيحدثه في أذنه فيسير معه الطفل حتى إذا كان بعيداً عن أعين الناس أخذ رأس الطفل فقتله. ورآه موسى وهو يفعل هذا فصرخ، وهاج، وماج، وصاح، وقال:

- ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾[٢] [الكهف: ٧٤].

إن هذه الأمور الصعبة لا يفهمها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولو كان أحدنا مكانه لفعل ما فعل، ولكن الخضر لا يفعل شيئاً إلا بأمر الله تعالى، فنظر الخضر إلى موسى قائلًا له:

- ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].

---

(١) أي لا تحمّلني ما لا طاقة لي به.

(٢) أي قتلت طفلًا بريئاً، روحه طاهرة دون وجه حق، فهو فعل خبيث.

فقال موسى عليه السلام خجلًا مما فعل:

﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[١] [الكهف: ٧٦].

وليت موسى عليه السلام ما قالها فقد كنا ننتظر العجائب الكثيرة من هذه الرحلة، ولكنه شرطٌ وضعه موسى عليه السلام على نفسه، ظناً منه أنه لن ينسى مرة أخرى لكن كيف ولقد نسي أبوه آدم من قبل، فنسيت ذريته وكان الإنسان عَجُولًا.

* * *

انطلق موسى والخضر ليواصلا رحلة الغرائب والعجائب حتى وصلا إلى قرية من القرى وأوشك الجوع أن يقتلهما.

فراحا يطلبان من أهل هذه القرية الطعام خاصة أن موسى عليه السلام لم يأكل حين هرب الحوت من المكتل، وكان أهل القرية بخلاء فلم يضيفوهما[٢]، فصبر نبي الله موسى حتى وصل به الخضر إلى جدار قديم أوشك على السقوط والانهيار، فقال الخضر لموسى:

- ساعدني في بناء هذا الجدار.

ورغم جوعه إلا أنه سكت حتى لا يفقد الصحبة في هذه الرحلة مع هذا الرجل الصالح فساعده وأعانه حتى بناه، ولما انتهيا من البناء قال موسى: - قوم طلبنا منهم الطعام والضيافة فلم يضيفونا، و﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[٣] [الكهف: ٧٧].

فقال الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ[٤] بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

وكان موسى عليه السلام قد ندم على ما قال وتمنى لو طالت هذه الرحلة،

---

(١) أي أني إذا سألتك عن أمرٍ من الأمور فلن أرافقك في الرحلة فقد سألتك كثيراً ولك العذر في ذلك.

(٢) يضيفوهما: يقومان بواجب الضيافة وهو الكرم وعكسه البخل.

(٣) أي تطلب أجراً على بناء هذا الجدار.

(٤) فراق: نهاية الرحلة.

ثم قال الخضر: - ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا[١] ❊ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف: ٧٨، ٧٩] فقراء يعملون في البحر، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] ظالم هو (هُدَد بن بُدَر) ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] - أي رغماً عن أصحابها - لتكون ملكاً له، فإذا رأى عيباً في السفينة تركها ولم يأخذها.

ولقد جاء بعد نزولنا من السفينة فوجدها قد خُرِقت فتركها. فكان خرق السفينة سبباً في نجاة أصحابها لا غرقهم!!

فتعجب نبي الله موسى الذي لا يعلم غيب الله تعالى وكثيراً ما يغتر الإنسان بعقله وهو لا يدري حكمة الله تعالى في كل فعل من الأفعال حتى ولو كان فيه التعب في بعض الأحوال.

وأما الغلام - واسمه (جيسور) - فكان أبواه مؤمنين وأما هو فإن تركه الله ليكبر لأصبح كافراً، وسيعوّض الله والديه بولدٍ آخر خيراً منه يكون مؤمناً لا يتعبهما.

وهكذا كان الموت علاجاً لهذين الأبوين المؤمنين رغم الحزن الشديد الذي صاروا إليه، فيا لرحمة الله تعالى الرحيم بالعبد أكثر من الأم بولدها.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، وكان تحت هذا الجدار كنزٌ وضعه أبوهما لهما.

وقد دعا أبوهما الله ليجدا الكنز فاستجاب الله لدعائه فأمرني بالذهاب إلى هناك لأبني الجدار قبل السقوط، فإذا كبرا وجدا الكنز، وهذا يا موسى تأويل ما لم تصبر عليه.

وفارق الخضر موسى، وفارقه موسى وعاد إلى بني إسرائيل بعد هذه الرحلة بعلم جديد، وخير كثير، سفينة ينزع لوحها، وطفل يُقتل، وجدار يُبْنَى.

وبعد زمان طويل يقول رسول الله ﷺ: **«لوددنا لو صبر موسى حتى نرى العجب»** وكلنا كان يود ذلك.

---

(١) أي سأخبرك بتفسير ما رأيت.

الدروس المستفادة

(١) عِلْمُ الله تعالى واسع لا حدود له.

(٢) عدم غرور الإنسان أو استعجاله في الرد بل يرد العلم إلى الله فيقول: (الله أعلم).

(٣) احترام الأستاذ والمدرس، وتحمل المشاق في سبيل العلم.

(٤) الصبر على العلم حتى ننال ما نرجو.

(٥) عدم الاستعجال في النطق بالكلمة، فالكلمة نملكها ما لم نتكلم، فإذا تكلمنا ملكتنا هذه الكلمة.

الأسئلة

- **أكمل الآتي:**

١ - تسمى السمكة الكبيرة . . . . .

٢ - الذي لا يكرم الناس ولا يضيفهم يسمى . . . . .

٣ - وعاء من خوص يسمى الزنبيل . . . . .

ضع علامة [✓] أو (✗) أمام هذه العبارات:

(١) ردّ موسى العلم إلى الله لما سأله الرجل من أعلم الناس. (. . . . . .)

(٢) صبر موسى عليه السلام على ما تعهد به للخضر. (. . . . . . .)

(٣) الخضر ما زال حياً حتى وقتنا هذا. (. . . . . .)

(٤) شرب موسى والخضر عليهما السلام من عين الحياة. (. . . . . .)

- **أكتب هذه القصة في ٢٠ سطراً من أسلوبك.**

الإجابات

(حوت - البخيل - المكتل)

(خطأ) (خطأ) (خطأ) (صح).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[٥] موسى وقارون

المال أو النُّبوة . . . . . . أيهما أفضل من الآخر؟

هذا بالضبط ما فكّر فيه قارون ابن عم نبي الله موسى عليه السلام .

فلقد كان قارون يحقد على موسى ويحسده لأنه صار نبياً، وكان بنو إسرائيل يحبون قارون صاحب الصوت الحسن فإذا قرأ التوراة[١] خشعت القلوب، واستمعت النفوس إلى كلام الله.

ومرّت الأيام على قارون حتى أعطاه الله من فضله، فرزقه المال الكثير وآتاه من الكنوز العظيمة ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة[٢] .

إلا أن قارون بدلاً من أن يشكر ربه ويخرج صدقة ماله بغى[٣] على قومه فتكبر عليهم وظلمهم وطلب أن تكون له الكلمة في بني إسرائيل بدلاً من نبي الله موسى عليه السلام ، فقد فضّل قارون المال والغنى على النبوة.

ونسي أن المال إنما هو لله يرزق به من يشاء، وأن النبوة هي حق لله تعالى يجعلها لمن يشاء من عباده الصالحين، فكرهه قومه بعد أن أحبوه.

وذات يوم خرج قارون في موكب عظيم، يلبس أفخر الثياب، تجري أمامه الخيول، والإبل، وحول موكبه الخدم والحشم فنظر إليه الناس وقد دهشوا حتى ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] فقال العلماء من بني إسرائيل:

---

(١) التوراة: الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام .

(٢) أي أن المفاتيح والخزائن كانت تثقل على الجماعة الكثيرة إذا أرادوا حملها فلا يستطيعون ذلك.

(٣) أي ظلمهم.

– ويلكم، ثواب الله وجنته ورضاه خير لمن آمن وعمل صالحاً، ولا يُلَقَّاها[١] إلا الصالحون[٢] وجاءه من قومه بعض الصالحين فرأوه يشرب الخمر، ويفسد في الأرض، ويرتكب الفاحشة فقالوا له:

– لا تفرح بما أعطاك الله، وتتكبر على غيرك، فالله لا يحب الفَرِحين المتكبرين، ولا تنس نصيبك من الدنيا فخذ حلالها وَدَعْ[٣] حرامها، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧] ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وكان الغرور قد تملّك قلب قارون، وتسلّط الشيطان على قلبه فقال:

– لقد اكتسبت هذا المال بجهدي وعلمي، وليس لأحد فيه نصيب، والله يحبني ولذلك أعطاني المال الوفير، ولن أعطي لأحد منه شيئاً.

فنصحه العلماء فقالوا:

– إن الله قد أهلك من قَبلك مَنْ هو أشد منك قوة، وأكثر جمعاً[٤].

ثم تركوه وانصرفوا

* * *

قارون وماله، وكنوزه، وموكبه، وزينته هذا ما يشغل كثيراً من رجال بني إسرائيل الذين كانوا يرون قارون كل يوم يخرج بموكبه وزينته وماله عليهم فتمنوا أن لو أعطاهم الله المال كما أعطاه لقارون الغني صاحب الحظ العظيم.

واشتد حقد قارون على نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى علماء بني إسرائيل.

فأراد أن يتخلص من موسى حتى تكون له الكلمة والزعامة في بني إسرائيل بجوار الغنى والثراء ففكّر، ودبَّر، واستعان بعقله، وبشيطانه حتى اهتدى إلى فكرة شيطانية.

---

(١) أي لا يفكرون إلا في المال فقط.

(٢) أي لا يفوز بثواب الله ورضاه إلا المؤمنون.

(٣) دع: اترك.

(٤) أي أن الله أهلك من هو أكثر منك غروراً، ومالاً، وولداً وهو قادر على هلاكك أنت أيضاً.

أحضر امرأة خاطئة صاحبة أخلاق فاسدة، وأعطاها مالاً وقال لها:

- اذهبي إلى موسى وهو يخطب الناس، ويعظهم وقولي: لقد فعل بي موسى الفاحشة.

وَنَسِيَ قارون أن موسى هو رسول الله ونبيه وأن الله يحفظ رسله وأنبيائه من كل سوء فذهبت المرأة الشيطانة إلى موسى وهو في جماعة من بني إسرائيل فقالت:

- يا موسى، لقد جئت أشكو للناس ما فعلته بي.

فقال نبي الله موسى:

- وما فعلت بك يا أمة الله؟

- فعلت بي كذا وكذا من الفاحشة.

واحمرّ وجه نبي الله موسى عليه السلام، ثم أقبل عليها يسألها ويستحلفها بالله ما جعلها تقول ذلك في حقه وهو النبي الذي عصمه الله من الخطأ(١).

فندمت المرأة وقالت:

- يا نبي الله قارون ابن عمك هو الذي أمرني بذلك.

فحمد موسى ربه على أن بيّن زيف هذه التهمة وبطلانها فخرّ ساجداً لله تعالى.

ذهب موسى عليه السلام إلى قارون، ومعه علماء بني إسرائيل، فدخل على قارون فقال:

- يا قارون ما حملك على اتهامي بالباطل(٢)؟

فقال:

- يا موسى إن كنت فُضلت عليَّ بالنبوة، فقد فُضِّلت عليك بالمال، وأنا خير منك، فإما أن تدعو الله عليَّ، أو أدعو الله عليك.

---

(١) أي أن الأنبياء لا يخطِؤون أبداً.

(٢) يقصد: ما جعلك تسلط عليّ هذه المرأة؟

فقال موسى: ادع أنت أولاً.

فخرج الإثنان إلى بني إسرائيل الذين تجمعوا في قصر قارون ليروا ماذا سيحدث؟ فدعا قارون على موسى أن يَخسِفَ[(١)] الله به الأرض، فلم يستجب الله تعالى.

فقال موسى: أدعو أنا الله عليك، فقال موسى:

- اللهم مُرِ الأرض فلتهتز بقارون وبماله وكنوزه.

فخسف الله الأرض بقارون وقصره وماله وابتلعته، فلم يكن له من أنصار وأعوان من دون الله عز وجل، فلم يمنعه من قدر الله أحد، وما كان من المنتصرين.

وراح أصحاب الحياة الدنيا الذين تمنوا مكان قارون بالأمس يضربون كفاً بكف ويقولون:

- ﴿وَيْكَأَنَّ[(٢)] ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ[(٣)] ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

ومات قارون وماله وغروره.

---

(١) يخسف: يزلزل.

(٢) ويكأن: كلمة للتعجب.

(٣) يبسط: يوسع، يقدر: يضيق، مَنَّ: أعطانا.

الدروس المستفادة

(١) الغرور صفة من صفات المنافقين.

(٢) الإيمان والعمل الصالح خير من المال الكثير.

(٣) والمال لله فيه حق وهو الزكاة والصدقة.

(٤) عدم اتهام الناس بالباطل.

الأسئلة

* ما اسم الكتاب الذي أنزله الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ وما اسم قومه؟

* وما اسم الرجل الغني الذي كان صاحب كنوز كثيرة؟

ما معنى؟

(تنوء - عصبة - حظ).

* ماذا تفعل لو كنت مكان قارون وأعطاك الله مالاً؟

الإجابات

(التوراة - بنو إسرائيل - قارون).

(تثقل - جماعة - نصيب).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[٦] بنو إسرائيل في أرض التِّيهْ

[المن والسلوى - السامري - بقرة بني إسرائيل]

ضرب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ البحر بعصاه، فانقسم البحر فصار كل قسم فيه كالجبل العظيم، ثم بدأ بنو إسرائيل في عبور البحر حتى انتقلوا إلى الضِّفة(١) الأخرى.

ورأى فرعون مشهد البحر فانطلق بفرسه يريد أن يعبر وراء بني إسرائيل إلا أن البحر عاد مرة أخرى كما كان فغرق فرعون وجنوده، ونجَّى الله موسى وبني إسرائيل من فرعون وكيده بعد أن ذَّبح الأولاد، واستحيا النساء، وعذَّبهم عذاباً أليماً.

وأمر موسى بني إسرائيل أن يسجدوا سجدة شكر لله فقالوا: إنا مُتْعَبُون يا موسى ولن نسجد الآن.

وهكذا نسي اليهود فضل الله عليهم وهذه هي عادتهم دائماً، فسار موسى بقومه - بني إسرائيل في صحراء سيناء الواسعة فَمَرَّ على قوم يعبدون الأصنام فقالوا:

- يا موسى اصنع لنا صنماً نعبده مثل صنم هؤلاء.

فقال موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، خرجتم من مصر لأنكم آمنتم بالله والآن تريدون الكفر، فلأي سبب كان خروجكم من مصر، وتعذيب فرعون لكم؟! ثم أمرهم بالتوبة والاستغفار.

وأوحى الله إلى موسى أن يأمر بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة في فلسطين فقال موسى:

---

(١) الضفة: الشاطئ.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾[١] [المائدة: ٢١] وكانت فلسطين قد سكنها قوم أقوياء أشداء من العمالقة فخاف بنو إسرائيل وقالوا:

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

ونسي بنو إسرائيل أن الله نجاهم من فرعون وكان أشد قوة من العمالقة، ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

لقد كان النصر مكتوباً لبني إسرائيل على أعدائهم لو أطاعوا الله وتوكلوا عليه.

فقال بنو إسرائيل مصممين على كفرهم:

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

فلما قالوا هذه الكلمات غضب موسى عليهم فدعا ربه فقال:

﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ [المائدة: ٢٥] - هارون - ففرّق بيننا وبين هؤلاء الفاسقين.

فكان العقاب شديداً لقد حرّم الله على بني إسرائيل دخول بيت المقدس وفلسطين أربعين سنة وكتب عليهم التّيه[٢] في أرض سيناء القاحلة الخالية من الماء.

فصارت أرض سيناء هي أرض التيه يصحو الرجل من بني إسرائيل يسير مدة طويلة فيها فإذا جاء المساء وجد نفسه مرة أخرى في نفس المكان الذي بدأ منه السير مرة أخرى عقاباً لهم على عصيانهم، وقد كانت مدة العقاب أربعون سنة في أرض التيه.

---

(١) أي لا تعودوا مشركين بعد الإيمان.

(٢) التيه: هو الضلال، تاه فلان: أي ضلّ الطريق.

سيناء أرض صحراوية لا زرع فيها، ولا ماء إلا قليلاً، والإسرائيلي يظل طيلة يومه يدور في حلقة واحدة، ودائرة لا خروج منها.

فجاع بنو إسرائيل وعطشوا فاشتكوا إلى موسى العطش أولاً، فدعا موسى ربه ليسقيهم فأوحى الله إليه:

- ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠].

فلما ضرب موسى الحجر بعصاه ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(١) [البقرة: ٦٠] على عدد قبائل بني إسرائيل فشربوا جميعاً حتى ارتووا، ثم اشتكوا إلى موسى الجوع فدعا الله تعالى، فأنزل الله عليهم المَنّ والسلوى.

فأما المن فهو شراب أحلى من العسل يسقط من الشجر من شَرِبَ منه ارْتَوى وذهب عطشه، كان ينزل كالثلج فإذا ادّخر منه أحد شيئاً فسد إلا يوم الجمعة فقد كانوا يدخرون منه ليوم السبت وهو يوم العبادة الذي لا يعمل فيه اليهود.

وأما السلوى فهو طائر كالسِّمان ينزل مشوياً من السماء، فكان الطعام مباركاً فقال الله لهم:

- ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧].

فأكلوا وشبعوا، ولكن عادة بني إسرائيل التي لا تفارقهم: كثرة السؤال للأنبياء فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] - أي المن والسلوى - فادع الله أن يخرج لنا من نباتات الأرض من الفول والبصل والثوم والقثاء والعدس.

فتعجب نبي الله موسى من قوم أعطاهم الله المن والسلوى يطلبون النتن من العدس والفول والبصل فقال:

- ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾(٢) [البقرة: ٦١].

---

(١) عين الماء: أي ما يخرج من الأرض من ماء يشبه العين أو البئر.

(٢) أي كيف تستبدلون المن والسلوى بما هو أسفل منه من الطعام.

فخجلوا من أنفسهم، ولكن عادوا ثانية يشتكون إلى موسى حرارة الشمس بدلاً من أن يعملوا فيصنعوا ما يستظلون به فدعا موسى ربه، فأعطاهم الله (الغَمَام) وهو السحاب الأبيض في ناحية الشمس يستظلون به.

وفي الناحية الأخرى تسطع الشمس وفي الليل يسطع القمر، وأعطاهم الله نعمة كبرى، فقد أعطاهم عموداً من نور يمشون في ضوئه بالليل.

وكانوا قد خرجوا من مصر ولا ثياب معهم فاشتكوا اتساخ ملابسهم لنبي الله موسى فدعا ربه فأعطاهم نعمة أكبر فقد جعل الملابس لا تتسخ، بل وتصبح الملابس كالإنسان تكبر مع صاحبها مهما كبرت سنه.

وبجوار جبل الطور في سيناء عاش بنو إسرائيل في أرض التيه فأوحى الله إلى موسى أن يبلغهم أمره فقد أمرهم بالصلاة في كل مكان إلا المقبرة والحمام، ولكنهم شدَّدوا على أنفسهم فقالوا:

- لا نصلي إلا في المسجد فقط.

فأمرهم الله تعالى أن يطهروا ثيابهم بالماء إذا أصابتها نجاسة، فقالوا:

- لا، بل نقطع الجزء النَّجِسَ منها، فصارت ملابسهم جميعاً مُرَقَّعة.

وأمرهم الله أن يتوبوا من الذنب إذا ارتكبوه فقالوا:

- لا، بل يكتب الذنب على باب المذنب مع كفارته.

ففضحوا أنفسهم، وشدّد الله عليهم ..... فهل رأيتم أحمق من هؤلاء؟!

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يذهب إلى أعلى جبل الطور لينزل الله تعالى عليه شريعته ويعلمه التوراة وفيها الهدى والرشاد لبني إسرائيل.

فاستعد موسى للقاء الله تعالى، ووصّى أخاه (هارون النبي الوزير)(١) أن يحفظ بني إسرائيل في غيبته وأن يدير شؤونهم ويعلمهم ما جهلوا من شريعة الله، وعرّفه موسى أن مدة غيابه ثلاثون يوماً.

---

(١) انظر قصة موسى عليه السلام في «قصص الأنبياء» للأطفال.

وذهب موسى إلى ربه عز وجلّ فصعد جبل الطور، وهناك تنزلّت عليه شريعة الله، وكان موسى صائماً مدة ثلاثين يوماً فأحس بأن رائحة فمه قد تغيرت، فجاء بِسوَاكٍ[1] فنظف أسنانه، فسأله الله تعالى: لِمَ فعلت هذا؟

فقال: يا رب تغيّرت رائحة فمي.

فقال الله تعالى: يا موسى إن رائحة فم الصائم عندي أطيب من ريح المسك.

ثم أمره أن يصوم عشرة أيام أخرى فصار عدد الميقات مع الله أربعون ليلةً بالتمام والكمال.

ولقد كلم الله موسى، وكلمه موسى، فأحس موسى بحلاوة القرب من الله فقال:

- رب أريد النَّظر إليك ورؤيتك سبحانك.

فقال الله تعالى:

- يا موسى إنك لن تراني، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]
- (جبل الطور) - فإن ظلّ مكانه فسوف تراني.

فلما تجلى الله تعالى للجبل اهتز الجبل وتزلزل وصار دكَّاء متساوياً بالأرض، فأغمي على موسى عليه السلام.

فلما أفاق موسى علم أن المؤمنين لن يروا الله في الدنيا ولكن يرونه في الآخرة إذا دخلوا الجنة، فقال موسى.

- يا رب: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف: ١٤٣].

فأعطاه الله تعالى الألواح التي كتبت فيها التوراة وفيها هدى ورحمة لبني إسرائيل.

وكانت تعاليمها (لا تسرق - لا تزن - لا تشهد على صاحبك شهادة

---

١) السواك: عود صغير من شجر الأراك يُنظف به الفم. واستخدامه سُنةً عن رسول الله ﷺ.

زور - اعبد الله وحده لا شريك له - لا تقتل - أطع أباك وأمك حتى يطول عمرك - لا تُمدن عينك إلى بيت صاحبك، ولا تتمنى امرأته ولا عبده - أي لا تحسده).

وفرح موسى بالألواح، أو أراد أن يطير بها إلى قومه إلا أن الله تعالى أخبره خبراً جعله حزيناً فيا تُرى ما الخبر؟!

مثل خروج بني إسرائيل مصر طلب اليهود من المصريات أن يعطيهن الذهب والحُلِّي لكي يزين به في عيدهم على أن يُعِدنَهُ مرة أخرى إليهن.

ولكن كان في نية اليهوديات سرقة الذهب من الخواتم، والأقراط[1]، والخلاخيل وغيرها من زينة النساء.

ولأن بني إسرائيل أغبياء، فقد استطاع أحدهم وهو (السامريُّ) أن يسرق ذهبهم في حيلة من حِيلهِ الشيطانية.

فقد جمع هذا الكافر الذهب من اليهوديات ثم وضعه في النار وصنع منه عجلاً ذهبياً، وكان قد جعل جوف العجل مفتوحاً من ناحيتين.

فإذا دخل الهواء في بطنه خرج له صوت كأنه (الخُوَارْ) وهو صوت العجل، فظنَّ اليهود أن هذا العجل هو الإله فقال لهم السامري.

- ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨].

واستغل فرصة غياب موسى عشرة أيام أخرى فقال:

- إن موسى قد مات وهذا إلهكم وإلهه فاسجدوا له.

فأطاعوه بكفرهم وسجدوا له إلا هارون ومعه بعض المؤمنين الذين رفضوا السجود لهذا الصنم الذهبي الذي عبده اليهود عبيد المال والذهب.

ولما أراد موسى الرجوع إلى قومه أخبره الله تعالى بعبادة قومه للعجل وسجودهم له فحزن موسى حزناً شديداً.

(١) جمع قِرْط وهو ما تضعه المرأة من حُلي في أذنها.

وسريعاً ما عاد إلى هناك، فرأى العجل، فظنّ أن هارون قد عبد العجل معهم فأمسك به وراح يخنقه ويقول:

- لماذا تركتهم يعبدون العجل يا هارون؟ هل رضيت بهذا؟

فقال هارون: يا موسى، يا ابن أمي لا تفعل بي هذا فوالله لقد نصحتهم ونهيتهم ولكنهم صمموا على هذا فانتظرتك حتى تعود بأمر الله فيهم.

فأحضر هارون (السامري) فقال له موسى:

- غضب الله عليك يا سامري فاذهب فإن عقابك أن يُصيبك الله بمرض كلما وضعت يدك على جسدك سقط جلدك حتى تقول: لا مِسَاس (١).

وحرق موسى العجل بعد أن وضعه في النار ثم ألقاه في البحر، فبكى بنو إسرائيل حزناً على العجل ثم راحوا فشربوا من الماء الذي ذاب فيه الذهب في البحر . . . فيا للحماقة.

ففضْح الله أولئك بأن اصْفَرت شفاههم، فقال موسى:

- ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٥٤] إلهاً من دون الله، وإن عقابكم أن تقتلوا أنفسكم حتى يتوب الله عليكم.

فأمر موسى من عبدوا العجل أن يدخلوا إلى دارٍ مُظلمة، ثم يربطوا أنفسهم حتى يحضر من لم يعبد العجل فيقتلونهم بالسيوف، وإن علامة قبول الله للتوبة أنه سوف ينزل ظُلْمةً حين تزول، تكون التوبة قد قُبِلَتْ، فيكفون عن القتل.

وبدأ من لم يعبد العجل في قتل عَبَدة العجل حتى صرخ الأطفال على آبائهم، وبكت النساء وارتفعت يد موسى إلى الله تدعوه.

---

(١) أي لا يلمسني أحد.

فاستجاب الله لنبيه وقَبِل توبتهم فارتفعت الظلمة وتاب الله على من بَقِي ورحم من مات.

لمّا علم موسى بأن قومه عبدوا العجل من دون الله ألقى الألواح التي كُتبت فيها التوراة غضباً على قومه، فلما تاب الله عليهم أخذها مرة أخرى، وقال لبني إسرائيل:

- خذوا هذه التعاليم واتبعوا ما فيها.

فقالوا: لا حتى يكلمنا الله كما كلّمك.

فغضب الله عليهم، فأمر الملائكة أن تحمل جبل الطور فيلقونه على بني إسرائيل، فرأى بنو إسرائيل الجبل فوق رؤوسهم كالسحابة، فسجدوا لله تعالى وقالوا:

- تُبْنَا إلى الله.

فرفع الله عنهم العذاب وأخذوا تعاليم موسى، فقالوا:

- لا سجدة أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب.

وأمر الله موسى أن يختار سبعين رجلاً من بني إسرائيل ليذهبوا إلى جبل الطور فيستغفروا الله عن عبادة قومهم العجل، فاختار موسى السبعين رجلاً ثم صعد بهم إلى جبل الطور، وكان موسى إذا كلّم الله تعالى دخل في غَمَام[١] من النور، فلما كلّم الله تعالى كان هذا النور قد عمّ الجبل كله وازداد، وسمع بنو إسرائيل كلام الله لموسى، فقالوا:

- ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٥٥].

لقد كان سؤالهم هذا شكاً في الله تعالى، وأما موسى فقد كان يتمنى أن يرى ربه لأنه إليه مشتاق أما هم فأخطؤوا خطأً شنيعاً، فأرسل الله عليهم صاعقة من السماء فماتوا جميعاً فبكى موسى عليه السلام وقال:

(١) أي في سحاب من النور.

- يا رب لو شئت لأهلكتهم حين عبدوا العجل، يا رب إنهم ضعاف العقول، فلا تُهْلِكنا بما فعل السُّفهاء، يا رب أحيهم مرة أخرى، أنت ولِيُنا فاغفر لنا، وارحمنا، وأنت خير الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة إنا تُبنا إليك، وعُدْنا عن المعصية.

فأحياهم الله وتاب عليهم، فعادوا إلى ديارهم مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

صراخ، وعويل، ورجل يقول:

- أنت القاتل؟ وآخر يُنادي.

- بل القاتل أنت وقومك.

وجاء ابن أخي القتيل يصرخ، ويلطم وينادي: قتلوا عمي ليسرقوه ويرثوه.

فقال أحدهم: نذهب إلى نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليبين لنا الحقيقة.

فذهبوا إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقصوا عليه قصة القتيل، فقال موسى:

- أستحلفكم بالله إن كان أحدكم يعلم شيئاً عن هذا القتيل.

فما تكلم أحد ولا نطق، فذهب موسى يناجي ربه ويدعوه، ثم عاد إلى قومه فقال:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

فقالوا: بقَرة يا موسى، أتتخذنا هزواً وتهزأ منّا.

فقال نبي الله موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

فقالوا: إذن ادع الله لنا ليبين لنا شكل البقرة.

فدعا موسى ربه فقال: إن الله يقول لكم: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ(١) بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] ولأن موسى يعلم أنهم كثير سؤالهم قال: ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨].

(١) فارض: ليست كبيرة السن، والبكر: ليست صغيرة، عوان: وسط فلا هي صغيرة ولا كبيرة.

فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ﴾ [البقرة: ٦٩] .

فدعا موسى ربه ثم عاد فقال: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ[١] لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] فلما تشددوا شدّد الله عليهم فلم يجدوا بقرة بهذا اللون، فعادوا إلى موسى فقالوا:

- ادع لنا ربك يبين لنا إن البقر الأصفر كثير وقد تشابه علينا.

فقال موسى بعد أن دعا ربه: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾[٢] [البقرة: ٧١] .

فذهبوا فبحثوا عنها واستمر البحث عنها حتى وجدوها عند غلام كان باراً بوالديه، فأعطاه الله حسن الجزاء فقد باع البقرة بعشرة أمثال وزنها ذهباً.

فلما ذبحوها، أمرهم نبي الله موسى أن يأخذوا منها عظمة فيضربوا بها القتيل ففعلوا.

فقام القتيل ليقول: قتلني ابن أخي هذا الذي يصرخ ويلطم حتى يَرث مالي. ثم مات القتيل مرة أخرى.

ورغم ما رأى بنو إسرائيل من الآيات والمعجزات إلا أنهم استمروا في إيذاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى مات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو غضبان عليهم.

---

(١) فاقع: شديد الصفرة.

(٢) لا ذلول: ليست سهلة الانقياد، تثير الأرض: تحرثها للزراعة، مسلمة: سليمة من العيوب، لاشية: صفراء خالصة لا لون آخر فيها غير الأصفر.

الدروس المستفادة

(١) اليهود قوم ظالمون آذوا موسى عليه السلام وهارون، وكفروا بالله.

(٢) قدرة الله تعالى ليس لها حدود ولا نطاق.

(٣) الطاعة لله ولرسوله توجب رضوانه تعالى.

(٤) عصيان الله تعالى يوجب غضبه سبحانه وتعالى.

(٥) كثرة السؤال من عادات اليهود المنافقين.

(٦) عدم التشديد على النفس حتى لا يشدد علينا.

الأسئلة

- أكمل الآتي:

* شدد . . . . . على أنفسهم فشدد الله عليهم فقد أمرهم بذبح بقرة لا . . . . . ولا . . . . . عوان . . . . . ذلك، وكانت صفراء . . . . . لونها تسر . . . . لا . . . . تثير . . . . . . ولا . . . . . . الحرث مُسلمة . . . . . . فيها، وكان الذي أمرهم هو . . . . . عليه السلام .

- من هو؟

- النبي الوزير أخو موسى عليه السلام .

صنم عبده اليهود لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه.

- كافر صنع عجلاً من الذهب لبني إسرائيل وكان عقابه أن يقول: لا مساس.

- ما هي عكس الكلمات الآتية:

(الطاعة - التشديد - الحياة - الكفر).

الإجابات

(بنو إسرائيل - فارض - بكر - بين - فاقع - الناظرين - ذلول - الأرض - تسقي - لاشية - موسى عليه السلام).

(هارون - العجل - السَّامري).

(المعصية - التيسير - الموت - الإيمان).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[٧] الأرضُ المقدسة

مرت أربعون سنة على بني إسرائيل وهم في أرض التيه لم يخرجوا منها، ماتت فيها أجيال، وَوُلِدَت أجيال جديدة.

وقبل موت موسى عليه السلام أخذ الميثاق(١) على من خرج من الأجيال الجديدة مؤمناً بالله لم يسجد لصنم، أو يعبد عجلاً أو يعصي الله، فآمنوا بالله ورسوله.

وأمرهم بالصلاة والزكاة، والجهاد في سبيل الله، ولكن مات موسى عليه السلام قبل أن يُكمل هذه الرسالة.

وكان الله تعالى قد أوحى إلى موسى قبل موته أن يأخذ الميثاق على هؤلاء المؤمنين ليقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بالرسل.

فإذا قاموا بهذه الواجبات، أمرهم بالقتال فأطاعوا فيغفر الله لهم ذنوبهم ويرفع العقاب عنهم جميعاً.

وأسند موسى مهمة التربية إلى يوشع عليه السلام، فكان يختار من شباب بني إسرائيل من هم على قدر من القوة البدنية، وقوة الإيمان حتى يكونوا نواة للجيش الذي سيقاتل في سبيل الله.

وكان أفضل الشباب اثني عشر رجلاً، اختارهم موسى ويوشع ليكونوا نقباءاً على قومهم أي رؤساءً وقواداً، وحذرهم الله تعالى من عقابه إن نَكَثُوا العهد، وضيعوا الميثاق.

فقال لهم: فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل.

وكان عدد الإثني عشر نقيباً على عدد بطون وقبائل بني إسرائيل، فقد

(١) الميثاق: العهد.

كانوا اثني عشر سبطاً - أي قبيلة - على عدد أبناء يعقوب عليه السلام وإخوة يوسف نبي الله.

وكانت أسماء الإثني عشر نقيباً وأسباطهم كالآتي:

* سبط روبيل: وكان أكبر أبناء يعقوب عليه السلام، وكان نقيبهم اسمه (اليعنون).

* سبط شَمعون: ونقيبهم (ستاموال).

* سبط يهوذا: ونقيبهم (خشون).

* سبط أيساخر: ونقيبهم (شال).

* سبط يوسف عليه السلام: ونقيبهم (يوشع بن نون).

* سبط ميشا: ونقيبهم (جَمليئيل).

* سبط بنيامين: ونقيبهم (أبيدن).

* سبط حاد: ونقيبهم (الياساف).

* سبط أَشِير: ونقيبهم (محايل).

* سبط دان: ونقيبهم (خيعزر).

* سبط يَفتالي: ونقيبهم (أجدع).

* سبط زايلون: ونقيبهم (الباب).

فكان هذا هو جيش الإيمان يقوده يوشع بن نون إلى الأرض المقدسة وذلك بعد وفاة نبي الله موسى.

في أرض العماليق عاش (بُلْعَام بن بَاعُوراء) الرجل الصالح الذي عرف اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى.

فكان رجلاً يحبه قومه، ولكنه انعزل عنهم في صحراء بلاده يعيش في صومعته بعيداً عن قومه وكفرهم.

ولم يخطر ببال (بُلْعام) أن يدعو قومه يوماً إلى الإيمان، واختار العزلة على دعوة الناس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد.

وقد علم العماليق أن جيلاً جديداً من قوم موسى قد خرج مجاهداً في سبيل الله ليس فيه صفة الجُبن التي كانت فيمن قبلهم، يبحثون عن الموت في سبيل الله ليبلغوا الجنة.

فعلموا أنه لا بد من الحيلة والخداع في حربهم ضد بني إسرائيل، فقال شيطان من شياطينهم:

ما علينا إلا أن نذهب إلى بلعام نطلب منه أن يدعو الله عليهم ليهزموا، فهو مستجاب الدعوة، كلما انقطع المطر عنا ذهبنا إليه فدعا الله، فنزل المطر، فلنذهب إليه يدعو الله عليهم.

فقال الحاكم: فكرة طيبة لنذهب إليه، فقاموا جميعاً للقاء (بلعام) في صومعته.

* * *

ما زال جيش بني إسرائيل يضرب في الصحراء بعد أن رفع الله تعالى غضبه عنهم، ولأول مرة يخرجون من أرض التيه منذ أربعين سنة كاملة قضوها في حلقة واحدة يدورون فيها بلا خروج منها ففرحوا وعلموا أن هذه هي بشارة النصر من الله إليهم جميعاً.

وقام نبي الله (يوشع بن نون) يخطب في قومه قائلاً:

يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم إذ نجاكم من فرعون وعمله، فقد كان يقتل أبناءكم، ويستحيي نساءكم، ويذلكم عبيداً في أرضه وقصره،

ولولا أنكم آمنتم بالله على يد نبيه موسى لظللتم إلى الآن في يد فرعون الظالم الذي أغرقه الله في ماء البحر، ونجاكم واختاركم مؤمنين له.

وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى.

وجعل منكم ملوكاً، الواحد منكم يملك داراً وخادماً وينزل إليه رزقه من السماء.

ولا تكونوا كالذين قالوا لموسى من قبل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

ولكن قاتلوا في سبيل الله عدو الله، حتى تدخلوا إلى الأرض المقدسة، وتتنزل عليكم النعمة والبركة، لا الغضب واللعنة، واعلموا أننا لا ننتصر بِعُدَّة[١]، ولا بِعَدَدٍ، ولكن ننتصر على أعدائنا بالإيمان بالله، والثقة في نصره، فلو عصينا الله لأذلنا، وهزمنا الأعداء فامضوا إلى الأرض المقدسة على بركة الله.

فقال أحد الجنود: يا نبي الله، لماذا الأرض المقدسة بالذات؟ لماذا لا نحارب في أي مكان آخر؟

فقال يوشع: إنها أرض جدكم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأبيكم يعقوب، و(بيت المقدس) هي أرض لكل المؤمنين لا يسكنها إلا المؤمنون ولذلك فإن الله أمركم أن تطهروها من عبدة الأصنام من العماليق.

فقال آخر: ستكون بيت المقدس لنا طوال الحياة.

- لن تكون بيت المقدس إلا للمؤمنين فقط فإذا كفرتم بالله وعصيتم نزعها الله منكم ولم تستحقوا أن تكونوا أهلها ولا أصحابها، وإنما هي لأهل الإيمان الذين لا يعصون الله ما أمرهم ولا يغيرون كلام الله، بل يطيعونه سبحانه.

ودبت الحماسة في جند بني إسرائيل، وساروا للقاء عدوهم من العماليق، لم ترهبهم قوتهم، ولم يفزعوا من أحجامهم الكبيرة.

(١) عدة: آلات والمقصود بها هنا الآلات الحربية.

بل كان الإيمان نشيدهم، والحق مرادهم، والشهادة أمنية لهم، حتى يحرروا الأرض المقدسة من يد الكفار عباد الأصنام.

وعلى الجانب الآخر كان حاكم العماليق وقواده قد وصلوا إلى صومعة (بلعام) فقام إليهم، فقالوا، إن حاجتنا إليك أن تدعو على جيش بني إسرائيل.

فقال: كيف ذلك إن قائدهم نبي والنبي ذو شأن مع الله، فلا أملك أن أدعو عليهم.

قالوا: بل ستدعو عليهم ونعطيك المال الوفير، وتكون صاحب شأن فينا، نسمع كلمتك، ويمضي رأيك.

إننا لن نقطع أمراً دونك بعد ذلك، ستصير الرجل الأول في دولتنا يا بُلْعام.

فنظر بلعام إليهم، وقد وسوس الشيطان له، فزين له ما قد قالوا، فطمع في الحياة الدنيا ونسي ما ينتظر عند الله من الجنة والنعيم الذي لا يزول إذا أطاع الله، وعصى قومه.

وغلب عليه شيطانه، فضل وأضل، وباع الآخرة واشترى الدنيا، ووافق على ما طلبوه، ثم ركب حمارة له وسار نحو معسكر بني إسرائيل ليدعو عليهم ولكن إذا بالحمارة لا تسير بل ثبتت في مكانها.

فضربها بعصاه حتى قامت وسارت، ولم يكن سيرها إلا قليلاً حتى عادت لتقف في مكانها.

بل ورقدت حمارته في الأرض، فضربها ضرباً أشد من المرة الأولى، فإذا بالحمارة تنطق وتقول: يا بلعام أين تذهب؟ إن الملائكة أمامي تردني وتعيدني، ولا تسمح لي بالسير، أتذهب إلى نبي الله (يوشع) فتدعو على قومه المؤمنين، لن يكون هذا لك أبداً.

ولكنه تعامى عن آيات الله، وعن هذه الحمارة التي نطقت فضربها ضرباً شديداً، فالمال قد أغراه وهو يريد الرفعة في قومه.

حتى وصل إلى جبل يسمى (حُسْبَان) فرأى معسكر بني إسرائيل ويوشع بن نون، فأخذ يدعو عليهم، ولكن لسانه لا يطيعه الآن، فإذا جاء ليدعو على يوشع وبني إسرائيل انقلب لسانه فدعا على قومه وعلى نفسه.

فنظر قومه إليه كيف يفعل هذا؟ فجرب ثانية فإذا به يدعو على نفسه وقومه، فلما جرب ثالثة وقع لسانه على صدره، فعرف أن الله تعالى حافظ للمؤمنين ولن ينصر عاصياً على طائع، ولا كافر على مؤمنٍ.

فقال لقومه: قد ضاعت مني الآخرة، وضاعت مني الدنيا كفرت بالله حين دعوت على نبي وقومه فأخذ مني اسمه الأعظم.

وفشلت في الدعاء عليهم، فلا مال لي عندكم ولا شورى، ولكن بقيت الحيلة والمكر.

قالوا: كيف نفعل؟

قال: إن الله ليعذب القوم إذا عمت فيهم الفاحشة وفعلوا ذنباً، فإذا أردتم أن يحل غضب الله على يوشع وقومه، فلا عليكم إلا أن تزينوا نساءكم، وابعثوهن كبائعات إلى معسكر اليهود من بني إسرائيل.

فمتى وقع رجل من بني إسرائيل في الفاحشة أرسل الله غضبه عليهم، فوافقوا على هذا الرأي.

ومرت امرأة منهم اسمها (كِسبَتي) برجل من عظماء بني إسرائيل، فخلا بها في خيمته ووقع في الفاحشة.

فأنزل الله الطاعون(١) على بني إسرائيل فمات منهم سبعون ألفاً جزاءً على وقوع الفاحشة فيهم.

فقام رجل مؤمن اسمه (فِنْحَاص) وحمل حربته ثم دخل إلى خيمة الفاجر والفاجرة فطعنهما ثم حملهما على حربته، ووقف في وسط الميدان يقول: اللهم إني قتلت من عصاك، ووقع في الفاحشة، فارفع عنا الطاعون.

---

(١) الطاعون: مرض وبائي يقتل صاحبه وينتشر بين الناس.

ورفع الله عز وجل الطاعون عن بني إسرائيل، ولم يبق إلا المواجهة مع العماليق.

فشلت كل محاولات العماليق لهزيمة بني إسرائيل قبل أن يحاربوهم، ولم يبق إلا المواجهة بين الطرفين.

فأما (بُلعام) فقد لعنه الله تعالى حين اختار الأرض والدنيا، ونسي السماء والآخرة حتى صار كالكلب إن تتركه يلهث وينبح، أو تضربه يلهث وينبح، صار في الدنيا ملعوناً، وفي الآخرة معذباً.

وجهز يوشع بن نون جيشه لتحرير (بيت المقدس) من الكفار، وتطهيرها منهم بعد أن قطع نهر الأردن، فوصل إلى مدينة أريحا وهزم الحامية هناك.

وكان حصاره لها ستة أشهر كاملة، وكانت مدينة حصينة أسوارها عالية، وهي أكثر مدن العماليق سكاناً، فاستطاع بنصر الله وفضله أن يهزم العماليق فيها، وواصل المسير بعد ذلك يفتح بلداً تلو الآخر، ومدينة بعد الأخرى، ويهزم قواد العماليق.

كل هذا ولم يصل بعد إلى بيت المقدس، وكان العماليق يعرفون أن سقوط بيت المقدس يعني بالنسبة لهم خسارة عظيمة.

فجمعوا جيوشهم، وتعاهدوا على الدفاع عن مدينتهم ووصل يوشع إلى بيت المقدس بجيشه.

وبدأت المعركة منذ الصباح، ولا صوت فوق صَليل(١) السيوف، ولا شيء يعلو إلا غُبار الرمال المتصاعدة.

وها هي آهات القتلى، وأصوات التكبير تعلو من بني إسرائيل، وحمي القتال، واشتعلت المعركة، والعماليق صامدون وبنو إسرائيل يشددون عليهم، وبدأ القتال في الصباح الباكر، وامتد طيلة اليوم لا يهدأ، ولا يهدأ العماليق.

وانتصف النهار ولا زالت المعركة تدور، حتى أوشكت الشمس على المغيب، وكان بنو إسرائيل قد اقتربوا من تحقيق النصر على عدوهم.

وفكَّر يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ فوجد اليوم هو يوم الجمعة، وإذا انتهى القتال، فإنهم لن يقاتلوا عدوهم إلا يوم الأحد، لأن يوم السبت يتعطل فيه اليهود للعبادة فقط، لا يقومون بأي أمر آخر.

ويعني هذا أن جنود العماليق سيجمعون شملهم من جديد، وتبدأ حرب أخرى، وأُقْفِلَت الأبواب في وجه يوشع إلا باب واحد، وهو باب السماء، فرفع بصره إلى الله تعالى، ونظر إلى الشمس التي أوشكت على الغروب فقال للشمس:

- إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها(٢) عليَّ شيئاً.

واستجاب الله لدعائه فحبس الشمس، ونادى في جنده:

إلى النصر يا جند الله. فهاجم بنو إسرائيل أعداءهم هجوماً شديداً حتى هزموا أعداءهم هزيمة منكرة، وقتلوا ملك العماليق وحاكمهم، وجمعوا الغنائم، وكما سبق أن الغنائم قديماً كانت تجمع في مكان واحد، ثم تأتي نار بيضاء من السماء تأكلها، فإن لم تنزل النار فإن الله تعالى غاضب عليهم غير راض.

فجمع يوشع الغنائم في مكان واحد وانتظر حتى تنزل النار البيضاء، وانتظر معه بنو إسرائيل، ولكن لم تنزل النار من السماء.

---

(١) صليل: صوت السيوف.

(٢) أمسكها عن الغروب.

فقال يوشع لبني إسرائيل: إن فيكم الغَلُول[١].

فأنكروا جميعاً أن يكون أحدهم قد سرق شيئاً، فقال يوشع فليصافحني كل نقيب قبيلة من الإثني عشر، فإذا التصقت يد أحدهم عرفنا أين الغلول؟

فبدأ النقباء الإثني عشر في مصافحته فلصقت يد اثنين منهم في يده، فقال: فيكم أنتم الغلول.

فبحثوا حتى أخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، فأخذها يوشع ووضعها مع بقية الغنائم، فنزلت نار من السماء بيضاء حتى أكلت الغنائم، فحمدوا الله تعالى على ذلك، وواصل يوشع المسير ناحية بيت المقدس مع قومه، حتى وصلوا قريباً من أسوارها.

وعلى أسوار بيت المقدس أوحى الله تعالى إلى يوشع أمراً، فقام يوشع في قومه يقول:

إن الله يأمركم أن تدخلوا باب مدينة القدس وأنتم ساجدين لله شكراً على النصر، وأن تقولوا! (حِطّةٌ).

فقال أحدهم: وما حِطة يا يوشع؟

فقال: أي يا رب حُط عنا ذنوبنا التي فعلنا سابقاً.

فرد آخر قائلاً: كل هذا ولم يغفر الله لنا ذنوبنا يا يوشع؟

فقال يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن نعم الله عليك وعلى قومك كثيرة، فأطع الله واستغفره.

وعاد اليهود لممارسة المهنة القديمة، فسخروا من أمر الله تعالى، وعزموا أمراً آخر.

ولما وصلوا إلى الباب وجدوه صغيراً لا يستطيعون الدخول إلا سجداً، ففكر بعضهم في السخرية من أمر الله وعصيانه.

وبدلاً من السجود شكراً لربهم الذي نصرهم على أعدائهم وطاعته إذا

(١) اللص.

بهم يضعون إستاهم(١) على الأرض ليزحفوا عليها بدلاً من السجود على جباههم.

وبدلاً من قولهم (حطة) قال فريق منهم: حنطة أي قمح، وقال الآخر: حبة في شعرة. سخرية من أمر الله.

وما أجحد الإنسان الذي رأى نعمة ربه تتنزل عليه منذ قليل فيعصيه، إنها مجرد كلمة، ومجرد سجدة لن تضرهم في شيء.

وغضب الله تعالى عليهم غضباً عظيماً فأرسل عليهم الطاعون مرة أخرى رجزاً من السماء بكفرهم، فمات منهم عدد كبير، ماتوا على المعصية والكفر.

فلم يستمعوا لنبيهم ينصحهم، ولم يستجيبوا لربهم يدعوهم.

ووقف نبي الله يوشع حزيناً آسفاً على ما قد فعلوه، وبخوف النبي على قومه، وحزنه على الموتى بكى، وكأنهم أبناؤه قد فقدهم، وتأسف المؤمنون على موت هذه الفئة التي كفرت بالله. وما استجابت له سبحانه.

ودخلت البقية الباقية من المؤمنين إلى بيت المقدس، ومعهم نبي الله يوشع يحكم فيهم بشريعة الله تعالى، وبكتابه في ذلك الوقت وهو التوراة.

وظل يتحمل أذاهم، وعنادهم، وكفرهم بآيات الله صابراً محتسباً، حتى إذا بلغ من العمر مائة وسبعاً وعشرين سنة توفاه الله تعالى.

وقبل موته لعن بني إسرائيل ودعا عليهم، فمات غاضباً على قومه كما غضب موسى من قبل لأنهم فسقوا، وغيروا كلام الله، وقتلوا الأنبياء بغير حق.

فعاقبهم الله بأن ضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة.

حتى بعث الله محمداً ﷺ وأمره بالدعوة إلى الإسلام، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فكفروا به، وحاولوا قتله، فهزمهم وشردهم في البلاد.

---

(١) مؤخرتهم.

وعادت بيت المقدس لأهل الإيمان في عهد عمر ابن الخطاب حتى انتزعها العصاة من المؤمنينِ، وتظل حلقة باقية من تحرير بيت المقدس.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

الدروس المستفادة

(١) التوبة من الذنوب ترضي الله تعالى.

(٢) الخوف لا يكون إلا من الله.

(٣) الإبتعاد عن الغرور، والإعتماد على الله سبحانه وتعالى.

(٤) الله تعالى على كل شيء قدير.

(٥) بيت المقدس أمانة في عنق المؤمنين.

الأسئلة

[١] أكمل الآتي:

- تاب الله على بني إسرائيل فأخرجهم من أرض ...... بعد ...... سنة من العقاب وكان عدد نقبائهم ...... نقيباً فحاربوا العماليق وانتصروا عليهم ودخلوا إلى الأرض ...... بعد أن قتل ...... بسهمه المرأة التي فعلت الفاحشة وكانت المعركة يوم ...... وكان يوم ...... هو عيد ......

- من هو؟

- نبي الله الذي حمل أعباء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ؟
- رجل آتاه الله اسمه الأعظم لكنه ضلّ وغوى؟
- قاتل (كسبتي) المرأة سيئة الأخلاق؟

- اختر من بين الأقواس:

- كان بنو إسرائيل يحاربون . . . . .

(الجلاليق - العتاليق - العماليق).

- وكان يوشع بن . . . . . هو قائدهم.

(حون - نون - جون).

- ودار القتال حول . . . . .

(بيت القندس - بيت المقدس - بيت المقلدس).

- وكان في بني إسرائيل. . . . . الذي أخذ الغنيمة.

(العلول - الغلول - السلول).

الإجابات

(التيه - أربعين - اثني عشر - المقدسة - فنحاص - الجمعة - السبت - اليهود).

(يوشع بن نون - بُلعام بن باعوراء - فنحاص).

(العماليق - نون - بيت المقدس - الغلول).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[٨] طالوت وداود وجالوت

مرت السنون سريعاً على بني إسرائيل والله تعالى يبعث فيهم النبي تلو النبي ليرشدهم إلى طريق الحق وإلى الخير.

ولكنهم عصوا الله تعالى، فعاقبهم الله بأن هزمهم أعداؤهم من العمالقة.

واستولوا على تابوت بني إسرائيل وفيه عصا موسى وملابسه، وبعض ما تبقى من هارون وآله.

وعلى باب الخيمة التي يعبد فيها الله وقف الكاهن (عالي) وأولاده يسرقون أموال الفقراء، ويرتكبون الفاحشة، ويغازلون الفتيات القادمات للاستغفار حتى تحول مكان العبادة إلى مكان يعصى فيه الله تعالى.

وكان بنو إسرائيل قد أشركوا بالله، فعبدوا آلهة أخرى مثل (بلاعيم) و(عشتاروت) وهي أصنام لا تنفع ولا تضر.

ولم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن واحد هو (شمويل) ذلك الفتى الذي ينتهي نسبه إلى الأنبياء.

وذات ليلة وكان شمويل نائماً بجوار الكاهن (عالي) إذ سمع صوتاً مثل صوت (عالي) يناديه: شمويل.. شمويل.

فقال شمويل: نعم يا أبتاه، هل تناديني؟ فقال عالي: يا بني، لم أنادِك، فارجع إلى نومك.

وعاد الصوت يناديه مرة أخرى: شمويل ... شمويل.

فهبّ من نومه فزعاً وقال نعم يا أبتاه.. هل تناديني؟ فقال عالي: إن ناديتك في الثالثة فلا ترد عليّ.

وعاد الصوت ثالثة ينادي شمويل، فإذا به يرى جبريل عليه السلام،

فأوحى إليه أنه قد صار نبياً إلى بني إسرائيل، وعليه الآن أن يبلغهم كلام الله.

وفي الصباح قال الكاهن (عالي) لشمويل: ماذا حدث ليلة أمس؟

قال: بعثني الله رسولاً إليكم وأوحى إليَّ أنه غضبان عليك وعلى أولادك وسوف يهلككُم بذنوبكم.

خرج شمويل داعياً قومه إلى عبادة الله، وترك المعاصي، والتوبة مما يفعلون، فكانوا يحبونه ويسمعون له.

لكنهم ظلوا على معصيتهم ولم يتب منهم أحد إلا قليلاً وظل شمويل فيهم يدعوهم.

ويقرأ عليهم التوراة. ويبلغهم ما أنزله الله إليه، ولكن اليهود أحبوا الدنيا، ونسوا الآخرة، وما آمن معه إلا قليل.

ولا زالت الحروب بين اليهود وبين العماليق مستمرة، وكان الانتصار دائماً لليهود، حتى كانت معركة كبرى استعد لها اليهود جيداً، وكذلك استعد (العماليق) حتى نشبت[١] الحرب.

ودارت المعركة بين الفريقين، ولما انتهت المعركة كان الانتصار للعماليق على بني إسرائيل، فحزن نبي الله شمويل لذلك حزناً كبيراً، وزادت أحزان اليهود.

وبعد هذه المعركة جلس رؤساء اليهود يتشاورون في أمر هذه الهزيمة وتوصلوا في نهاية الأمر أن السبب في ذلك أنهم تركوا (التابوت المبارك) ولم يأخذوه معهم، فقد كانوا يضعون التابوت أمامهم، فيؤيدهم[٢] الله بنصره.

فقرروا أن يأخذوا التابوت معهم في المعركة القادمة حتى يتحمس الجنود فيدخلوا إلى المعركة ويقاتلوا الأعداء قتالاً شديداً فينتصروا على أعدائهم.

(١) نشبت: دارت.

(٢) يؤيد: ينصر ويساند.

وجاء اليهود بالتابوت من المعبد، فزاد حماس الجنود.

حتى خرج شباب بني إسرائيل جميعاً لحرب العماليق مرة أخرى، فالنصر سيكون حليفهم لأن التابوت معهم.

ودارت معركة أخرى بين اليهود وبين العماليق، وحميت المعركة، وزاد حماس اليهود حتى اقتربوا من تحقيق النصر، وتراجعت جيوش العماليق، وظن اليهود أنهم قد انتصروا.

ولكن قام قائد العماليق وهو يرى جيشه سيهزم فنادى في جنوده قائلاً:

أيها الرجال، لقد جاء اليهود بإلههم لكي يقاتلوكم، فإذا هزموكم فإنكم ستصبحون عبيداً لهم، وسيدخلون بلادكم، فهبوا للقتال وحاربوا أعدائكم.

وأشعلت هذه الكلمات نار الحماسة في نفوس العماليق، فعاد جنودهم يقاتلون كالأسود ورأى شباب اليهود أعداءهم قد هجموا عليهم، فتراجعوا، وزاد العماليق من هجومهم حتى استطاعوا تفريق جيش اليهود، فانقلبت الهزيمة نصراً.

وراح العماليق يقتلون في اليهود حتى قتلوا عدداً كبيراً منهم، وأسروا عدداً أكبر، وبقي عدد من جنود اليهود لم يقتل.

ولم يستطيعوا القتال، ففروا من المعركة فرار الفئران، وتركوا التابوت المبارك فأخذه العماليق غنيمة من أعدائهم.

وعاد أحد الهاربين من المعركة إلى بني إسرائيل في مدينتهم، فرآه الناس قد تمزقت ثيابه، واسود(١) وجهه، فقالوا له: ماذا حدث؟ فصرخ: إنها الهزيمة.

فصاح الرجال والنساء في المدينة حتى خرج بنو إسرائيل ليروا ماذا حدث، وخرج الكاهن (عالي) وهو يقول:

---

(١) اسود: صار أسود.

ماذا حدث؟

ماذا جرى؟ فأجلسه على كرسيه،

فقال الرجل: لقد هزمنا العماليق هزيمة كبيرة.

فقال عالي: وماذا فعل جنودنا؟

قال: إنهم ما بين قتيل أو أسير.

فقال: وماذا فعل أبنائي؟

قال: قُتِلُوا جميعاً.

فقال: والتابوت؟ قال: تركناه فأخذه الأعداء.

وظهر الحزن على وجه (عالي) ثم عاد بكرسيه إلى الوراء وهو يتنفس بصعوبة شديدة ثم سقط من فوق كرسيه على الأرض.

فمات حزناً على ما حدث لقومه وأولاده، وهكذا أنزل الله عقابه على عالي وأولاده، كما أخبر جبريل نبي الله شمويل من ذي قبل.

سنوات طويلة مرت بعد هزيمة بني إسرائيل وضياع التابوت من بين أيديهم، ولم يَكُف شمويل عن دعوتهم إلى الله.

وأمرهم بالتوبة، ثم جمعهم في المعبد ذات مرة، فقال لهم:

- يا قوم، توبوا إلى الله واتركوا عبادة (البلاعيم، والعشتاروت) فإنها حجارة لا تنفع ولا تضر، اعبدوا الله فهو واحد في الأرض، واحد في السماء ينصركم على أعدائكم، ويعيد لكم التابوت.

فقالوا: إذن نتوب إلى الله، ونترك الأصنام، فماذا نفعل أيضاً؟

فأمرهم بالصلاة، والصيام حتى يرضى عنهم الله تبارك وتعالى، وتتطهر نفوسهم من المعاصي والسيئات وتاب اليهود عن ذنوبهم، وعبدوا الله وحده لا شريك له.

وبدأت المعارك مرة أخرى بين اليهود والعماليق فكانت الحرب

سجالاً بين الفريقين، أي ينتصر فريق على الآخر مرة وينتصر الفريق الآخر مرة أخرى. فلما أخلص اليهود وتابوا، نصرهم الله على أعدائهم.

لكن لا زال التابوت هناك عند (العماليق)، كان العماليق قد وضعوه تحت صنم لهم، فلما استيقظوا في الصباح وجدوا التابوت فوق الصنم، فأعادوه مرة أخرى.

وفي اليوم التالي تكرر المشهد مرة أخرى، فقد وجدوا التابوت فوق الصنم.

وهكذا تكررت هذه الحادثة فعلموا أن هذا من أمر الله، فأخذوا التابوت بعيداً عن الصنم ووضعوه في قرية أخرى، فانتشر فيهم مرض لعين، فأخذوا التابوت بعيداً عن بلادهم.

أما اليهود. فإنهم ظلوا على عبادتهم لله، ومرت أيام، وشهور، وسنوات حتى كبر (شمويل) وصار شيخاً كبيراً، فاجتمع شيوخهم ورؤساؤهم ثم ذهبوا إلى شمويل فقالوا له:

- لقد أصبحت شيخاً كبيراً يا نبي الله، فقد جئناك لتدعو الله لنا حتى يجعل علينا ملكاً يكون حاكماً علينا، وقائداً لنا في حروبنا.

فقال شمويل: ملك!! إن الله تعالى سيحفظكم بعد موتي، ويبعث فيكم الأنبياء، والله خير الحافظين.

فقالوا: إننا نعلم أن الله لن يضيعنا، ولكننا نريد ملكاً يقودنا، ونلتف حوله.

فردّ عليهم شمويل فقال: إن الملك سيجعلكم عبيداً له، سيكون أولادكم خدماً في قصره، وسيظلمكم حتى تدعوا الله ليخلصكم منه، ولن يستجيب الله لكم.

فقالوا: إننا نقبل هذا كله.

لقد كانوا دائماً يختارون أصعب الأمور ويسيرون عليها رغم أن الله تعالى قد يسَّر عليهم ولكنهم قوم عناد وسوء.

فقالوا: إننا نريد ملكاً يجمع كلمتنا، ويقودنا للقتال حتى لو أذلنا وجعلنا عبيداً له.

فقال شمويل: ولكن هل لو كتب الله تعالى عليكم القتال وجعله أمراً هل ستقاتلون؟

قالوا: نعم سنقاتل، ولماذا لا نقاتل في سبيل الله. وقد أُخْرجنا من ديارنا، وأبناؤنا عبيدٌ للعماليق؟

فلما رأى شمويل أنهم قد صمموا على هذا جلس يدعو الله في ضراعة، فأوحى الله تعالى إليه أنه قد استجاب له ولقومه، وأمره أن يبلغهم ما أوحى به إليهم.

فخرج (شمويل) إلى بني إسرائيل وهم في انتظاره ليعلموا اسم الملك الذي اختاره الله.

فقال شمويل: إن الله قد استجاب لدعائنا، وبعث عليكم ملكاً.

فقالوا: من هو يا شمويل؟ فقال: إنه (طالوت).

فخرجت الأصوات من بني إسرائيل يرفضون أمر الله تعالى، ويعترضون على (طالوت) لأن (طالوت) كان يعمل (سقَّاءاً) [١] وكان فقيراً، وليس عنده مال كثير.

فقالوا: كيف يكون الملك له علينا، ونحن أحقُّ بالملك منه.

فقال شمويل: إن الله قد اختاره عليكم، ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً [٢] فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

فقال قائل منهم: ولكن ما الذي يجعلنا نصدقك أن طالوت قد اختاره الله، ولم تختره أنت.

فقال: إن علامة اختيار الله له أن يعود التابوت فيه سكينة وطمأنينة

---

(١) السقاء: الذي يسقي الناس.

(٢) البسطة: السعة.

لقلوبكم ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً[١] لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وانتظر بنو إسرائيل، فإذا بالتابوت قد جاءت به الملائكة تحمله.

فرأى بنو إسرائيل التابوت، فاطمأنت قلوبهم، وعرفوا أن طالوت هو ملكهم الجديد، فهتفوا:

عاش الملك طالوت، عاش الملك طالوت.

***

عاد التابوت إلى بني إسرائيل، فجعلوه أمامهم في كل معاركهم ضد (العماليق) فانتصروا وقادهم (طالوت) من نصر إلى نصر.

وكان شمويل يبلغ أمر الله إلى طالوت بالحرب، أو بالعدل بين الناس، وظل طالوت مطيعاً لأمر شمويل نبي الله.

وكانت شريعة الله إلى بني إسرائيل أنهم إذا انتصروا وضعوا الغنائم[٢] حتى تنزل نار بيضاء من السماء تأكل هذه الغنائم، فإذا غضب الله ظلت الغنائم كما هي.

وأمر الله شمويل أن يذهب إلى طالوت، فذهب إليه وقال له: إن الله يأمرك أن تذهب إلى العماليق وتحاربهم، وإنك ستنتصر عليهم، فإذا انتصرت فاحرق ديارهم، واذبح كل الرجال ولا تدع بقرةً ولا جملاً إلا ذبحته.

وكان (طالوت) يعلم أنه صار ملكاً بأمر الله فلا بد من طاعته.

وخرج جيش بني إسرائيل حتى وصل إلى مدينة العماليق.

ودارت الحرب، فانتصر اليهود هذه المرة على العماليق حتى أسروا ملكهم (أجاج)، وكانت الأبقار، والجمال، والخِرَاف تملأ مدن العماليق فاختار جيش بني إسرائيل الحيوانات الضعيفة فقتلوها.

(١) آية: علامة ودليل.

(٢) الغنائم: مكاسب الحرب من الأسلحة والخيول.

أما الحيوانات السمينة فلم يذبحوها، وأخذوها إلى ديارهم، وأسروا الملك (أجاج) فلم يقتلوه.

وعاد جيش بني إسرائيل ومعه الملك (طالوت) فدخل على شمويل، فقام شمويل غاضباً وقال: لماذا لم تنفذ أمر الله، إنني أرى إبلاً، وخيلاً، وخِرَافاً؟.

فقال طالوت: إننا سوف نذبحها في المعبد.

فقال شمويل: لكن طاعة أمر الله أفضل من أن تُذبح الحيوانات في المعبد.

فقال طالوت: إنني أتوب إلى الله.

فقال شمويل: واقتل أجاج ملكهم يا طالوت. ثم اعتدل شمويل فقال لطالوت: إنك صرت عاصياً لله، لقد كنت سقّاءاً متواضعاً حتى اختارك الله ملكاً فأصبحت مغروراً وعصيت أمر الله، ثم أراد الإنصراف، فأمسك طالوت بثوبه فتمزق.

فقال شمويل: مزَّق الله ملكك كما مزَّقت ثيابي.

فقال طالوت وهو يتوسل إلى شمويل: بالله عليك ساعدني على التوبة ليغفر الله لي، وادعه أن يقبل توبتي وندمي على ما فعلت، ثم بكى طالوت.

فعاد شمويل فسجد لله مع طالوت، ودعا الله له ليغفر لطالوت ذنبه.

ولكن ما زال طالوت حزيناً من ذلك الدعاء الذي دعاه شمويل حين قال: (مزَّقَ الله مُلكك) إنه الآن يفكر في أمره فلو تمزق ملكه فسوف يعود فقيراً مرة أخرى وبعد المعيشة في القصر، وخدمة الناس له، سيعود ليحمل قِرْبَة الماء ليعمل سَقَّاءاً مرة أخرى، وظل وجهه حزيناً باكياً حتى دخل عليه أحد وزرائه، فقال:

يا مولاي، لا تحزن، فإن نبي الله قد دعا لك بالمغفرة.

فقال طالوت: إنني حزين وخائف، وأشعر أن ملكي سيتمزق،

وسأعود فقيراً، ساعدوني على أن أفكر في أمر آخر، هيا افعلوا شيئاً لمليككم وأسعدوه.

فقال أحد الوزراء: إنني أعرف غُلاماً حسن الصوت، إنه راعي غنم ولكنه إذا قرأ التوراة سكت كل شيء حوله حتى الطير تستمع إلى صوته، وتكاد الجبال تُسبح معه إذا سبح الله، وتخشع القلوب، إن صوته عذب يا مولاي.

فقال طالوت: أحضروا هذا الغلام.

وانطلق الحرس، والخدم يبحثون عن (داود) ذلك الراعي ذو الصوت العذب الرقيق.

فلما وجدوه، جاؤوا به إلى مقر طالوت فدخل عليه، فلما رآه طالوت انشرح صدره وسكنت أحزانه، فإنه يرى فتىً أشقر، أبيض الوجه، أزرق العينين.

فقال طالوت: أسمعنا تسبيحك لله وقراءتك للتوراة.

وبدأ داود في تلاوة التوراة، فأحسّ طالوت أن الهدوء يعم المكان، فقد سكت كل شيء حوله، وشعر بالأمن في قلبه، وخرج صوت داود ينادي:

سبحان الملك الأعظم .... سبحان خالق النور

يا رب ..... ما أعظم اسمك في الأرض

يا رب ما أعظم اسمك في السماء

واطمأن قلب طالوت، وذَرَف الدموع[١] باكياً، وذهب الحزن عن قلبه، ثم انصرف داود.

* * *

جمَّع (العماليق) جيشهم، والتفوا حول قائدهم الجديد (جالوت)

---

(١) ذرف الدموع: أي بكى ونزلت دموعه.

الذي كان عظيم الجسد قوي البنيان لا يشق له غُبار في معركة، وتجهزوا للزحف على بني إسرائيل.

وعلم طالوت بهذه الأخبار، فبعث عيونه[١] يستطلعون الأمر، فتأكد من هذه الأنباء، واستأذن نبي الله شمويل في الخروج لملاقاة الأعداء فأذن له في الخروج.

ونادى المنادي في بني إسرائيل: استعدوا للقتال.

فتجهز الجيش، وجاء المتطوعون من كل مكان للجهاد في سبيل الله ضد العماليق الكفرة وبلغ عدد جيش بني إسرائيل ثمانين ألفاً من الجنود الأقوياء لأن المعركة كانت حاسمة وكان العماليق قد جمعوا جيشاً جراراً لغزو بني إسرائيل.

وخرج طالوت بهذا الجيش العَرَمْرَمْ[٢] ليقاتل أعداء الله من العماليق وأراد الله تعالى أن يختبر إيمان جنود بني إسرائيل، فقد كان كثيرٌ منهم يزعمون أنهم شُجعان ولكن حقيقة الأمر كانت غير ذلك.

فقد كان الرعب يتملكهم من الملك (جالوت) قائد العماليق.

وأوصى شمويل طالوت قبل أن يخرج بألا يشربوا من نهر الأردن والذي سيمرون عليه في الطريق، فنادى طالوت في جيشه قائلاً: إن الله مُبتليكم[٣] بنهر فمن شرب منه فسوف يعود ولن يحارب أما من شرب شربة واحدة فقط بيده فسوف يكمل المسير معنا لحرب الأعداء.

وسار جيش بني إسرائيل حتى أصابهم العطش الشديد، فإن الشمس شديدة الحرارة، فعطشوا عطشاً شديداً.

ووصل الجيش إلى النهر، فلما رآه الجنود ذهبوا إليه فشربوا منه إلا قليلاً منهم، فلم يبق من الجيش إلا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً هم الذين لم

(١) عيونه: جواسيسه.

(٢) عرمرم: أي: كثير.

(٣) مُبتليكم: أي: مختبركم.

يشربوا من النهر وأطاعوا أمر نبي الله، وأمر ملكهم طالوت وعاد الباقون إلى بيت المقدس فإن طالوت يخشى من عصيان أمر الله حتى لا يمزق ملكه.

وعبر الباقون من الجيش مع طالوت نهر الأردن، حتى وصلوا إلى مكان جيش العماليق.

وهناك رأوا جيش العماليق الجرار، فصاح رجل من بني إسرائيل: ﴿لَا طَاقَةَ[١] لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩]، سوف يهزمنا جيش جالوت الجرار.

ولكن المؤمنين في هذا الجيش الذين عقدوا العزم على الشهادة قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ[٢] قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ثم توجهوا إلى الله تعالى فدعوه قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ[٣] عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وكانت المعارك قديماً لا تبدأ إلا بعد مبارزة بين رجلين بالسيف، فبدأت المناوشات بين جيش طالوت، وجيش جالوت، فيبارز الرجال الرجال.

حتى خرج الملك (جالوت) ملك العماليق وكان قوياً، بطلاً يبعث منظره على الرعب، فخاف جنود اليهود منه لقد وقف (جالوت) وسط ميدان المعركة.

وكان يلبس خوذة[٤] من نُحاس، وانعكس ضوء الشمس على هذه الخوذة فكانت تبعث شعاعاً يراه اليهود فيزداد خوفهم ورعبهم منه، فتخيل اليهود أن (جالوت) يستطيع هزيمتهم وحده دون معاونة أحد.

---

(١) لا طاقة: أي: لا قوة ولا قدرة.

(٢) فئة: أي: جماعة من الناس.

(٣) أفرغ: أي: صُبّ علينا.

(٤) خوذة: أي: غطاء للرأس من نحاس.

وصرخ جالوت في صوت شديد: يا طالوت أخرج لمبارزتي، أو ابعث لي رجلاً يبارزني، فإن قتلتك كان الملك لي وإن قتلتني كان الملك لك.

ماذا يفعل طالوت؟ إن جنوده الآن في رعب شديد، وقد تراجعوا جميعاً، ولم يخرج منهم أحد للقاء (جالوت) فصرخ طالوت في جنوده يُحمسهُم: من يخرج لقتال جالوت؟ ولم يجب أحد، فضحك جالوت؟ وجرى بفرسه ناحية جيش اليهود فتراجعوا إلى الخلف فضحك جالوت وجيشه، وسخروا من جُبن اليهود وخوفهم.

وتكرر المشهد في اليوم التالي، والجميع يتراجع أمام (جالوت) وكيف يقاتل رجل ضعيف منهم هذا الجبل جالوت؟ فأراد طالوت أن يشجع الرجال على قتال (جالوت) فقال لجنوده:

من منكم يخرج لقتاله، وأزوجه ابنتي، وأُكرمه في بني إسرائيل هو وأهل بيته؟

إن هذا الوعد بلا شك جائزة عظيمة يتمناها أي شخص في ديار بني إسرائيل جميعاً، فسوف يكون صهراً للملك، وواحداً ممن يعيشون في القصر، وسيكون شريكاً للملك وشريفاً في قومه جميعاً.

لكن كل رجل في الجيش يعرف قوة (جالوت)، ويعلم جيداً أنه سيقتل بالسيف ليموت قبل أن يتزوج بنت طالوت، فلم يخرج أحد لقتال جالوت، فسخر منهم ومن خوفهم.

وظل جالوت يخرج كل يوم يدعو اليهود للمبارزة فلا يجيبه أحد، حتى مضى أربعون يوماً ولا زالت القلوب خائفة من قوته وبطشه، وما زالت سخريته من جنود اليهود وخوفهم يعلو صوتها كل يوم.

وفي بيت المقدس كان الغلام (داود) ذلك الراعي ذو الصوت الحسن ينتظر قدوم إخوته من المعركة.

وكانوا قد خرجوا مع (طالوت) لحرب العماليق، وطال انتظاره لهم

فقرر أن يأخذ بعض الطعام لإخوته في ميدان المعركة، ويزورهم مطمئناً عليهم، ثم تحرك إليهم وعبر نهر الأردن، لتحدث المفاجأة.

ترك داود غنمه، وذهب إلى إخوته بعد عبور نهر الأردن، ووصل إلى ساحة القتال فوجد الجيشين قد استعدوا للقتال، وبرز جالوت من بين الصفوف مرة أخرى، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يراه فيها داود، ونادى جالوت: أما من مقاتل . . . . أما من مبارز، هيا أيها الجبناء.

وعاد اليهود للخلف وانكمشوا ولم يتقدم منهم أحد.

فأحس داود بالغيظ الشديد وغلت دماؤه في عروقه، وغضب من قومه الجبناء، فخرج من بين الصفوف كأنه العاصفة(١).

ثم صاح: أنا أقاتلك أيها المغرور. فخرج إخوة داود فقالوا له: أمجنون أنت؟ إنه جالوت. إنه أقوى منك.

فقال داود: إن معي من هو أقوى من جالوت، إن معي الله عزّ وجل، أنا مؤمن وهو كافر.

فقال إخوته: يا داود عُدْ إلى غَنَمِكَ، سوف يقتلك.

ثم تقدم طالوت إليه فقال: يا صغيري عد إلى (بيت المقدس) إنه قوي، ويعرف فنون الحرب، وأنت صغير لا تستطيع مبارزته.

فقال داود في ثبات: إن معي الله تعالى.

ورأى طالوت داود مُصمماً على القتال، فقال له: الله معك يا ولدي، إذهب فقاتله وألبس طالوتُ ثيابه لداود، وجعل على رأسه خوذة، وألبسه درعاً(٢) ليحميه من طعنات الرماح، وضربات السيوف وأراد داود الخروج ولكن وجد نفسه ثقيلاً فخلع داود عن نفسه هذه الخوذة، وهذا الدرع.

ثم قال: يا مولاي، إنني أستطيع أن أستخدم المِقْلاع(٣)، فلو سدَّدْتُه إلى شيء أصبته.

(١) العاصفة: أي: الهواء الشديد.

(٢) الدرع: هو قميص من الحديد يلبسه الجندي ليمنع عنه الطعنات.

(٣) المقلاع: أداة حربية قديمة توضع فيها الحجارة ثم يقذف بها.

وتقدم داود إلى جالوت، فلما رآه جالوت صغيراً، نظر إليه في غرور فقال له: ارجع أيها الصغير، فلم أتعود قتل الغلمان.

فقال داود في غضب: بل أنا أقتلك أيها الكافر المغرور.

ولف الهدوء والسكون ميدان المعركة، ونظر إخوة داود إلى أخيهم في قلق شديد.

ونظر جنود العماليق إلى ملكهم يُبارِزُ غُلاماً، فأخرج داود من جيبه حجراً ووضعه في المقلاع، ثم صوبه إلى جالوت، وقذف بالحجر فأصاب عين جالوت فسقط فأسرع داود إليه.

ثم قعد على صدره وقطع رأسه، فخاف العماليق، وهلل اليهود، ثم هجموا على العماليق، ففروا أمامهم، وانتصر اليهود.

وهكذا قتل داود جالوت، وما هي إلا سنوات حتى آتاه الله النبوة والملك فصار داود ملكاً نبياً حكيماً عليه السلام.

الدروس المستفادة

(١) الخوف لا يكون إلا من الله تعالى.

(٢) الوفاء بالعهد وعدم الخيانة من صفات المؤمنين.

(٣) التوبة من الذنوب والرضا بأمر الله.

(٤) مهما بلغت قوة الكافر فالمؤمن أقوى منه بإيمانه.

الأسئلة

(١) ضع علامة [✓] أو [✗] أمام هذه العبارات:

- لم يكفر بنو إسرائيل بعد موسى ولم يحتاجوا إلى الأنبياء.
( ).

- اليهود قوم شجعان لا يخافون من أحد.
( ).

- اليهود قوم يطيعون الله ورسوله ولا يعصون الله ما أمرهم.
( ).

- أجب بكلمة واحدة:

- من هو الذي يبعثه الله للناس فيدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له؟

- من هو الذي يجعله الناس حاكماً ورئيساً ويكون له حق الطاعة؟

- بماذا يُسمى الرجل الذي لا يخاف من أحد إلا الله؟

- بماذا يُسمى الرجل الذي يخاف من كل شيء؟

❊ (طالوت ، داود، جالوت)

لكل منهم دوره في هذه القصة فاذكره.

الإجابات

- (X) (X) (X).
- (النبي - الملك - الشجاع - الجبان).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[٩] سُلَيْمَان وبلقيس والهدهد

خرج الهُدهد في الصباح الباكر باحثاً عن رزقه، وحلق بجناحيه في السماء، ثم أسلم جناحيه للهواء والريح يحملانه.

فإذا به يرى نفسه قد ذهب بعيداً عن عشه في بيت المقدس فقد وجد أنه الآن قريباً من مملكة سبأ التي تحكمها الملكة الجميلة (بلقيس) وتعجب الهدهد من عظمة عرش الملكة، وحب الشعب لها.

لكنه رأى أمراً عجيباً جعله يحزن ويبكي، لقد رأى أهل سبأ يسجدون للشمس ويعبدونها من دون الله تعالى، وتعجب الهدهد من ضلال البشر الذين يتركون الخالق المنعم، ويعبدون شيئاً من خلقه.

وقرر الهدهد أن يعود مرة أخرى إلى بيت المقدس حتى يخبر صاحبه من البشر بهذا الذي رآه.

ولم يخطر ببال أهل سبأ الذين عبدوا الشمس من دون الله أن القدر يُخَبِّىءُ لهم حدثاً عظيماً سيغير حياتهم تماماً.

خرجت الطيور تحملها الرياح، ووقفت الحيوانات صفوفاً، وانتظم الجن في صفوف متساوية ووقف قائد الإنس ينظم جنوده في الناحية المخصصة لهم.

ثم ارتقب الجميع خروج الملك النبي سليمان بن داود عليه السلام، وخرج سليمان فلما رأى جنوده تذكر دعاءه لله تعالى:

رَبِّ اغفِر لي وأعطني مُلكاً لا يَنبغي لأَحَدٍ مِن بَعدِي.

فحمد الله الذي سخر له الجن والإنس والطير والوحوش والرياح ليصبحوا في جيشه يغزو به في سبيل الله.

إنه يأمر الطير فتطيعه ويفهم لغتها ويحدثها، ثم يستدعي الجان الذين كانوا خدماً بين يديه فمنهم من يبني له القصور ومنهم من يغوص إلى الأعماق ليأتي له باللؤلؤ والكنوز المختبئة في أعماق البحر.

ثم يأمر سليمان الرياح أن تحمله من الشام إلى العراق فيذهب إلى هناك في الصباح، ثم يعود قبل الظهر مرة أخرى إلى (بيت المقدس) في الشام.

حقاً إنه ملك عجيب لم يعطه الله لأحد من بعد سليمان عليه السلام.

نظر سليمان إلى جيشه العظيم الجرار الذي اجتمعت فيه كل المخلوقات، كان صوت أقدام الجيش وحده مرعباً، يهزم أي جيش آخر، فكيف إذا حارب هذا الجيش جيشاً آخر.

وكان سليمان - عليه السلام - يسير في مقدمة الجيش حوله القواد من كل جنس، قائد الإنس، وقائد الجن، والنسر زعيم الطيور، والأسد ملك الوحوش وبقية القواد، وإذا به يستمع إلى صوت ضعيف ينادي فيقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ[1] سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

كان الصوت لنملة رأت جيش سليمان وهو قادم، فنادت في أخواتها ليدخلوا إلى الجحور حتى لا يموت جيش النمل تحت أقدام هذا الجيش الجرار الذي لن يراهم.

(١) أي: لا يُكسرنكم حين يدوسونكم بالأقدام.

فتبسم نبي الله سليمان ضاحكاً من قولها، ونظر إلى السماء، شاكراً الله على هذه النعمة.

ثم قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ[١] أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وانتظر نبي الله سليمان جيش النمل حتى دخل إلى مساكنه، ثم بدأ الجيش مسيره، ووسط الصحراء كان الغبار يعلو من وقع الأقدام التي تدوس على رمالها، واشتدت حرارة الشمس وزاد لهيبها وأبصر سليمان مكاناً فيه نبات فعلم أن الماء قريب من هذا المكان، فنادى في جيشه ليقف فتوقف الجيش، ووضعوا الرحال والأمتعة في انتظار أوامر النبي الملك.

وتلفت نبي الله سليمان يبحث عن الهدهد، فإن الهدهد هو الدليل على الماء، لأن الله تعالى جعله يرى بعينه ما تحت التراب، ويضرب بمنقاره الطويل في الرمال بحثاً عن الماء، فلم يجد سليمان هذا الهدهد فقال متعجباً:

- ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠] ثم طلب سليمان من قائد الطير وهو النسر أن يحضر فوراً، فحضر النسر، فقال سليمان: أين الهدهد؟

فقال: عفواً مولاي لا أدري أين هو؟

فزاد غضب نبي الله سليمان لأن الهدهد لم يستأذن قبل غيابه.

فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ[٢] مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

ثم دعا سليمان العقاب، وهو طائر يشبه النسر فقال: أحضروا الهدهد الآن.

لم تمض إلا دقائق معدودة حتى حضر (الهدهد) فرآه العقاب والنسر.

فقالا له: أين كنت؟ ويلك، إن نبي الله سليمان أقسم إما أن يقتلك أو يذبحك أو يعذبك.

---

(١) أوزعني: اجعلني.

(٢) يأتيني: يجيئني، والسلطان المبين: العذر المقبول.

ثم طار الهدهد مع النسر حتى وصلا إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فقال النسر: ها هو الهدهد يا نبي الله قد حضر.

فنظر سليمان إلى الهدهد غاضباً، وجذبه من رأسه ثم قال له: أين كنت؟

فقال: مهلًا يا نبي الله، لقد علمت ما لم تعلم أنت.

فقال سليمان: وماذا علمت؟ قال: لقد ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ[١] يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

فقال سليمان: وما هو الخبر؟

قال: إني وجدت امرأة قد ملكتهم، وإن لها عرشاً عظيماً تجلس عليه، وقد رأيتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، فرأيتهم كفاراً لا يعبدون الله، بل يعبدون شيئاً مما خلقه.

فتعجب كيف لا يسجدون لله الذي خلقهم وخلق الشمس وهو رب العرش العظيم.

فتعجب سليمان واندهش من كلام الهدهد، ثم قال له: سننظر في هذا الأمر، ونرى هل من الصادقين أنت أم من الكاذبين؟ وذهب الهدهد ليبحث عن الماء حتى وجده، ثم عاد إلى سليمان مرة أخرى، فوجده قد كتب له كتاباً[٢]، وعلَّق الكتاب في منقاره، وألبسه تاجاً ثم قال له: اذهب بكتابي هذا، فألقه إليهم ثم تَولَّ[٣] عنهم فانظر ماذا يرجعون؟

وطار الهدهد حاملًا كتاب سليمان نبي الله إلى مملكة سبأ، فلقد صار رسولًا مُوفداً من عند نبي الله، يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى، وحلق في السماء بجناحيه يقطع الطريق طائراً دون راحة حتى وصل إلى سبأ.

* * *

---

(١) خبر أكيد لا شك فيه.

(٢) رسالة.

(٣) تَولَّ: ابتعد.

يوم شاق من الأعمال والتحركات، انقضى هذا اليوم ببطء شديد، وفي نهايته أحست الملكة (بلقيس) ملكة سبأ أنها تحتاج إلى الراحة والنوم، فودعت وزراءها، وانصرفت إلى حجرتها، وقبل أن تغادر مكانها نظرت إلى عرشها الذي زينته، ووضعت عليه أغلى وأثمن أنواع الجواهر، واليواقيت، والذهب والفضة، ثم بدأت تستعد للنوم فألقت جسدها المتعب على السرير.

فإذا بها تسمع صوتاً في حجرتها، فانتبهت لهذا الصوت، وتجولت ببصرها في حجرتها، فإذا الهدهد العجيب أمامها قد وقف على فتحة شباك الحجرة.

فعجبت لهذا الهدهد الذي يلبس تاجاً، ويمسك في منقاره برسالة، واقترب الهدهد منها ثم ألقى الكتاب على سريرها وطار مسرعاً، فأخذت الكتاب، فوجدته مختوماً بختم الملوك، فقالت: خطاب مختوم بخاتم الملك، يبعثه صاحبه مع رسول من الطير، إن ملكاً كهذا لا بد أن يكون ملكه كبيراً، أو هو من غير البشر.

وفتحت بلقيس كتاب سليمان، فوجدته أعجب من الهدهد، وإنها لتشاهد العجب في حياتها لأول مرة، فعزمت على جمع وزرائها، وخواصها من أهل الرأي والمشورة لتعرض عليهم أمر الكتاب العجيب.

فلما حضروا قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ[١] إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩-٣١].

(١) الملأ: هم حاشية الملك وخاصته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي[(١)] فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]، وتشاركوني في الأمر فقالوا: نحن أقوياء، ولدينا الجيش العظيم فلنحارب سليمان، والأمر لك، ﴿فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]، فنحن نسمع ونطيع.

ففكرت قليلًا، والتمعت عيناها، ثم أحنت رأسها، ونظرت إلى عرشها الذهبي الرائع وهي تلمسه بيدها ثم ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

لقد رأت أن الحرب ستأتي بالخسائر على مملكتها، وأن سليمان الذي يرسل كتاباً على جناح طائر لا بد وأنه يملك جيشاً عظيماً، كما أنها امرأة لا تحب الدماء، ولا الحرب.

ثم أكملت قولها فقالت: وإني مرسلة بهدية إلى سليمان، ومنتظرة بماذا سيرجع الرسل الذين سأبعثهم له.

ونادت وزيرها ثم قالت له: سوف أبعثك إلى سليمان بهدايا عظيمة، فيها ذهب، ومال، وعطور، وجواري، وتاجاً فيه درة من لؤلؤ، ولبنات[(٢)] من ذهب ومن فضة.

وسأعطيك أوعية فيها مسك وحقة[(٣)] مغلقة، ثم قالت له: قبل أن يفتح الحقة اسأله أولًا أن يخبرك بما فيها، فإذا أخبرك، فاسأله أن يثقب الدرة التي في التاج ثقباً مستوياً، ويدخل خيطاً فيها، ثم انظر إليه، فإذا رأيته غاضباً عليك. فاعلم أنه ملك فلا تخف منه، وإذا رأيته يبتسم لك، فاعلم أنه نبي ولا تتكلم كثيراً معه، ولكن اجعل إجابتك على الأسئلة بسيطة.

وخرج وزير بلقيس ليحمل هداياها إلى نبي الله سليمان في موكب عظيم، وعلى البعد كان الهدهد يطير بجناحيه ليخبر نبي الله سليمان بما قد رآه، ليستعد لاستقبال وفد بلقيس.

---

(١) أفتوني: أعطوني الفتوى والشورى.

(٢) لبنات: جمع لبنة، وهي الحجارة التي تستخدم في البناء.

(٣) حقة: وعاء من العاج له غطاء يُوضع فيه المسك.

وجلس سليمان على كرسيه وبجواره وزيره الصالح (آصِفُ بن بَرخِيَا).

ثم أمر سليمان الجن أن يبنوا جداراً في الطريق الذي سيمر به وفد بلقيس.

ولكنه جدار حجارته ولبناته من ذهب ومن فضة، وترك بعض الأماكن فارغة لم يضع فيها لبنات، فكانت بعدد لبنات وفد بلقيس، ففعلوا. ثم انعقد ديوان سليمان في انتظار دخول وفد مملكة سبأ عليه.

وفي الطريق نظر وزير بلقيس إلى الجدار الذي أمر سليمان الجن ببنائه فرآه من ذهب وفضة، ورأى أن بعض الأماكن والمواضع في الجدار ليس فيها لبنات، فأخرج ما معه من لبنات الذهب والفضة ووضعها في هذه المواضع، حتى لا يتهمه سليمان بسرقتها، ودخل الرعب قلبه.

ودخل على نبي الله سليمان فرآه باسماً بَشُوشاً، فاطمأن قليلًا وهدأت نفسه وراح يقلب بصره في قصر نبي الله سليمان، فإذا به قد امتلأ بالعجائب والكنوز.

لقد رأى أطباقاً من ذهب قد امتلأت مسكاً طيب الرائحة.

ثم رأى ياقوتاً أحمر في أطباق أخرى وفي هذه الأطباق وضع قليل من ماء الورد، وجاءت طيور صغيرة ترفرف بجناحيها، وتتمرغ في هذا المسك، ثم تنزل في ماء الورد، وتطير في القصر ثم تملأه بهذه الرائحة الطيبة، وتقدم الرجل متعجباً إلى سليمان، وسلّمه كتاب بلقيس إليه، ثم جلس يتأمل في روعة قصر هذا الملك العظيم.

وما أن انتهى سليمان من قراءة الكتاب حتى قال للوزير:

- أين الحقة التي بعثتها ملكتك معك؟

فأخرجها من جيبه وقال: ها هي يا سيدي، ولكن هل لك أن تخبرني بما فيها؟

فقلبها سليمان بين يديه ثم قال: إن فيها درة ثمينة، وفيها خرزة، وفي الخرزة ثقب معوج.

فاندهش الوزير، وأوشك أن يُقتل من دهشته مما يحدث حوله، فإنه يعيش في جو خيالي الآن.

فالنبي يعرف كل شيء، ويملك كل شيء، ولكنه تذكر أمر بلقيس بسرعة فقال: صدقت، ولكن اثقُب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة.

فتناول سليمان الدرة وقال لمن حوله: من يثقب هذه الدرة؟ فتقدمت أرضة(١) صغيرة فقالت: أنا يا نبي الله أثقبها لك.

فأعطاها الدرة، فتناولت في فمها شعرة ثم دخلت في الخرزة، بجسمها الصغير وخرجت من الجانب الآخر، ووزير بلقيس يتصبب عرقاً، وينظر في ذهول، ويتبسم مرة، ويُقطِّبُ وجهه أخرى، ويشهق، ويعود إلى الوراء، ويغمض عينيه ويفتحها.

فما هذا الذي يحدث حوله؟

لا بد أنه في حلم.

ولكن خرج صوت سليمان عالياً ليتأكد الرجل أنه ليس في حلم وأنه يقظ حي، قال سليمان: من يدخل الخيط في هذه الخرزة؟

فقامت دودة بيضاء فقالت:

ليأذن لي نبي الله أن أُدْخِل الخيط في الخرزة فتناولت الخيط في فمها ثم دخلت في الخرزة وخرجت من الجانب الآخر.

وتأكد رسول بلقيس ووزيرها أنه أمام نبي لا أمام ملك، وأن ما يفعله إنما هو معجزات أعطاها الله تعالى له، فأسرع بتقديم بقية الهدايا لسليمان.

أما سليمان فإنه رفض الهدية، فلا يصح أن يقبل نبيٌّ هدية كافر، وأخبر الوزير بأنه لن يقبل هداياه إلا إذا تركوا عبادة الشمس وعبدوا الله وحده لا شريك له.

وقال: أتمدونني بالمال؟!! فإن الله قد أعطاني خيراً مما أعطاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون.

---

(١) الأرضة: حشرة صغيرة تثقب الأرض.

ثم حذره سليمان قائلًا: ارجع إلى ملكتك وشعبك، فلنأتينكم بجنود لا قِبَل[١] لكم بها، ولنُخْرِجنكم من أرضكم أذلة وأنتم صاغرون[٢].

وعاد موكب وزير بلقيس إلى سبأ وهو لا يصدق ما رآه. ولكنها حقائق وليست خيالات ودخل على ملكته، فحكى لها ما رآه من العظمة، والروعة، والعجب، فإذا بها تمص شفتيها ثم تقول:

- إنه نبي، ولا قدرة لنا على حربه، وسنذهب إليه مؤمنين.

وأمرت بإعداد موكب ملكي سيرحل إلى بيت المقدس للقاء نبي الله سليمان.

* * *

استعد الموكب الملكي للخروج من سبأ لملاقاة الملك النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنظرت بلقيس إلى عرشها العظيم، ومسته بيدها.

ثم أمرت الجنود أن يحملوه إلى مكان أمين وجاء الرجال الأقوياء الأشداءُ يحملون العرش، وقلبها يخفق خوفاً من سقوطه أو اصطدامه بعمود من أعمدة القصر.

ثم أدخلوه آمناً إلى مكان لا يعرفه إلا هم والملكة وأغلقت الملكة الأبواب على العرش، وجعلت عليه باباً يتلوه باب تتلوه أبواب، ولكل باب قفل لا يستطيع أحد أن يفتحه إلا هي، فقد احتفظت بمفاتيح الأبواب معها ووكَّلَت بالعرش حرساً شديداً، وأوصتهم به خيراً.

وركبت الملكة فرسها، ونادى المنادي بالرحيل من سبأ.

وتحرك موكب ملكي مهيب تتقدمه ملكة جميلة تُفكر في أمر هذا النبي، وتتخيل عظمة قصره، وتتصور في نفسها ما قد وصفه الوزير الذي أرسلته لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقريباً من بيت المقدس وصلت بلقيس، وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ جالساً

---

(١) لا قدرة ولا طاقة لكم عليها.

(٢) صاغرون: جمع صاغر وهو الذليل.

على كرسيه في قصره فسمع صوتاً عظيماً يأتي من الخارج، فسأل جنوده:

- ما هذا الصوت؟

- قالوا: إنه موكب الملكة بلقيس، لقد نزلت قريباً من بيت المقدس.

ففكر سليمان في شيء يفعله لكي تتأكد بلقيس من نبوته، ومن قدرة الله تعالى، فتؤمن سريعاً وتذكر قول الهدهد له أول مرة: (ولها عرش عظيم).

فماذا لو أحضر العرش أمامه من سبأ، ستصبح هذه معجزة، ويصير دليلًا واضحاً على قدرة الله تعالى، فقال سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ(١) وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨، ٣٩].

وأوشك سليمان أن يأمر العفريت ليذهب إلى سبأ ليحضر العرش.

ولكن خرج صوت وزيره المؤمن الذي كان يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، وهو الوزير (آصف بن بَرخيا) وكان عالماً، صالحاً، فقال:

يا نبي الله، ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ(٢)﴾ [النمل: ٤٠]

فقال سليمان: أحقاً ما تقول يا آصف؟

قال: نعم يا نبي الله، انظر إلى اليمين.

فنظر سليمان إلى اليمين، ثم قال له آصف بعد لحظة واحدة: انظر يا نبي الله إليّ فما أن نظر سليمان إلى اليمين، ثم عاد مرة أخرى حتى وجد العرش أمامه، فعجب لروعته، فإنه كما وصفه الهدهد عرش عظيم، رآه مزيناً بالذهب والياقوت واللؤلؤ، والزمرد الأخضر، ووجده من ذهب خالص.

وأحسَّ سُليمان بنعمة الله تعالى عليه، فتواضع، ونكس رأسه يشكر

---

(١) قبل أن ينتهي مجلسك.

(٢) قبل أن تفتح عينيك بعد غلقها وهو دليل على السرعة.

الله تعالى قائلًا: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ[١] ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

وأراد سليمان اختبار ذكاء بلقيس، ليراها هل هي بالذكاء الذي حدثوه عنها أم لا؟ فأمر جنوده بتغيير القليل من العرش فقال:

﴿نَكِّرُواْ[٢] لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]

فأخذ الجنود ينقصون من زينة العرش، ويزيدون فيه، ليخفوا معالمه ومنظره، ويغيروا منه ليختبروا ذكاءها.

وتحرك سليمان بجنوده إلى مكان قريب من القصر، وأمر الجن أن يبنوا لها صرحاً[٣] من الزجاج، ويجعلوا الماء يجري من تحته، وما ذلك إلا لتؤمن بلقيس بقدرة الله تعالى وعظمته، وانتهى الجنود من البناء.

وحضرت بلقيس، فاستقبلها نبي الله سليمان مبتسماً ضاحكاً أما هي فلا زالت مندهشة مما حولها.

فالطرق مفروشة بالذهب والفضة، والجدران منقوشة ومزينة بأغلى وأثمن الجواهر، والقصر من العظمة بما يجعلها تقف ناظرة إليه لا تتحرك عيناها عنه.

وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ متواضع غير مغرور بما حوله، وإنه للعجب العُجاب.

ثم اصطحبها سليمان لتتجول في قصره، فلا تملك إلا أن تنظر فقط في روائع الجمال التي تحيط بها.

فإنه مُلكٌ لا ينبغي إلا لنبي يستمد قوته من قوة الإله العظيم وهو الله وحده لا شريك له.

ووصل سليمان إلى المكان الذي وضع فيه عرشها بعد أن غيَّر قليلًا

---

(١) يبلوني: يختبرني.

(٢) نكِّروا: غيروا الأوصاف.

(٣) الصرح: القصر العظيم.

منه، ففتح الباب فدخل ودخلت معه، فنظرت إلى العرش فقال لها سليمان:

﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]

ولكن . . . كيف؟ إنها تركت العرش في حراسة الرجال الأشِدَاء، وإن مفاتيح الحجرات معها وحدها، وإن العرش قد تغيرت بعض أوصافه ومعالمه، فأجابت في ذكاء شديد.

- كأنه هو عَرْشي.

فقال سليمان: بل هو عرشك يا بلقيس جئنا به من قصرك منذ وقت قصير.

فتعجبت من قدرة الله تعالى، ومن القوة التي أعطاها الله لسليمان.

وقادها سليمان للصرح الذي بناه الجنُّ من الزجاج وجعلوا الماء يجري من تحته فدخلت معه، فلما رأت الماء يجري، ظنت أن قدميها ستبتل، ولم تكن تعرف أنه من زُجاج، فقال سليمان باسماً:

﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ (١) مِّن قَوَارِيرَ (٢)﴾ [النمل: ٤٤].

ولم يعد أمام بلقيس إلا أن تؤمن بقدرة الله تعالى، وتترك عبادة الشمس التي ورثتها عن أجدادها، فلئن كانت الشمس تأتي بالحرارة والضوء، فإن الله تعالى هو الذي أعطى الشمس حرارتها وضوءها وما الشمس والقمر إلا بعض خلق الله الذي أعطى لسليمان هذه النِّعم، فقالت مُستغفرة تائبة:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

(١) ناعم أملس.

(٢) من زجاج.

فشكر سليمان ربه عز وجل على أن هدى به الملكة وشعبها، وجلست بلقيس ترى العجب في ملك سليمان، ثم انقضت الأيام سريعاً، فعادت إلى مملكتها وهناك رفع الجميع صوته:

- ربنا ظلمنا أنفسنا، وأسلمنا مع سليمان لله رب العالمين.

الدروس المستفادة

(١) الأنبياء يختصهم الله بمعجزات مختلفة مثل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كلّم الطير وسُخِّرت له الريح، وخدمته الجن.

(٢) الدعوة إلى الله تعالى في كل وقت، وبكل طريقة.

(٣) العلم ضروري للنبي، وللمؤمن ولكل الخلق.

(٤) الإيمان بالله وحده لا شريك له.

الأسئلة

- اذكر اسم هذه الشخصيات:

(١) وزير سليمان عليه السلام المؤمن العالم.

(٢) الملكة التي كانت كافرة وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

(٣) الطائر الذي بلّغ سليمان بأمر مملكة سبأ.

- أكمل الآتي:

* كان من معجزات نبي الله سليمان:

(١)

(٢)

(٣)

* عاشت الملكة بلقيس في مملكة . . . . . وكان لها . . . . . عظيم فرآها . . . . . فبلّغ نبي الله . . . . . أنهم يعبدون . . . . . من دون الله، وكان سليمان قد دعاها إلى . . . . . بالله وبنى قصراً . . . . . من . . . . . . فحسبته . . . . . . وكشفت عن ساقيها.

- اذكر ما استفدته من هذه القصة؟

الإجابات

- (آصف بن برخيا - بلقيس - الهدهد)
- (تسخير الرياح - فهم كلام الطير - تسخير الجان والشياطين).
- (سبأ - عرش - الهدهد - سليمان - الشمس - الإيمان - مُمَرداً - قوارير - لُجة).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١٠] أصحاب القرية

أمر الملك (أنْطِيخْس) ملك أنطاكية حراسه وجنوده أن يُخرجوا ثلاثة من المحبوسين في سجنه حتى ينفذ فيهم حكم الإعدام أمام الناس جميعاً.

فقد كان الملك (أنطيخس) ظالماً كافراً بالله تعالى جعل نفسه إلهاً من دون الله وأمر شعبه أن يعبده من دون الله ففعلوا.

وكان هذا الملك ينشر رجاله بين الناس، فإذا عرفوا بوجود أحد المؤمنين جاؤوا به إلى الملك فسجنه وقتله حتى لم يبق في القرية كلها إلا ثلاثة رجال مؤمنين وعلم الملك بأمرهم، فأرسل جنوده وحرسه حتى قبضوا عليهم وأودعوهم السجن حتى يقتلهم بعد ذلك أمام أهل القرية في (أنطاكية).

وبذلك يخشى الناس هذا الملك، لا يبقى في القرية كلها مؤمن واحد.

واحتشد الناس جميعاً لرؤية هذا المشهد المروع.

ووقف أهل أنطاكية أمام قصر الملك ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام في ثلاثة رجال هم آخر المؤمنين في هذه القرية، وأمر الملك بقتل المؤمن الأول فقتله الجنود.

ثم جاؤوا بالمؤمن الثاني فقتلوه، إلا أنهم حين أحضروا الرجل الثالث إذا به يستطيع أن يفك قيوده ثم يجري وسط الجموع التي وقفت أمام القصر وهنا اختلط الناس بعضهم ببعض ليكتب الله له النجاة من الموت.

فقد استطاع الهرب بعيداً عن قصر الملك وجنوده وسط الزحام الشديد.

كان هذا المؤمن الهارب هو (شَالُوم) ذلك الرجل الطيب الذي عبد الله تعالى مع صاحبيه اللذين قتلهما الملك.

وكان نجاراً يعمل بالنهار، ثم يظل طيلة الليل يعبد الله تعالى ويذكره، وعرف الناس عنه أنه كثير الصدقة، فكان يعطي الفقراء من ماله ويبحث عن المساكين فيطعمهم، ويعطيهم من المال الذي اكتسبه ما يعينهم على قضاء حاجاتهم.

إلا أن الملك حين علم بإيمانه سجنه وأراد قتله، فلم يدافع عنه أحد من هذه القرية ولكن الله لا يضيع من آمن به، لأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا.

وبعد أن استطاع (شالوم) الهرب بسرعة من الملك وحراسه، وانشغل الناس في البحث عنه أمام القصر.

ذهب هو بسرعة إلى دار أخيه المؤمن الذي كان يخفي إيمانه وهو (مِلْتَاس) وكان قد تغيّب عن الحضور إلى قصر السلطان حتى لا يرى أخاه وهو يشنق أمامه، فيحزن لذلك حزناً شديداً، وبينما هو جالس حزين يفكر إذ سمع طرقات الباب شديدة قوية، وصوت (شالوم) ينادي:

افتح . . . افتح يا ملتاس . . . أنا شالوم، هيا قبل أن يدركوني ولم يصدق ملتاس نفسه في بادىء الأمر، لكنه فتح الباب بسرعة لأخيه، حكى شالوم عما حدث لملتاس، وطلب منه مالًا وطعاماً.

ثم رجاه أن يعطيه حصاناً يهرب به خارج القرية حتى لا يدركه أعوان الملك (أنطيخس) وهم يبحثون عنه الآن وبسرعة جهز (ملتاس) حصاناً قوياً لأخيه (شالوم) وأعطاه طعاماً ومالًا ثم ودعه ودعا الله له بالسلامة وأن يحفظه من كل سوء.

وأسرع (شالوم) بفرسه الذي أخذ يسابق الريح في جريه حتى وصل إلى خارج المدينة، وجاء أعوان الملك وحراسه يبحثون عن (شالوم) في دار أخيه (ملتاس) وحينما فتشوا الدار لم يجدوه.

ولم يعثروا له على أي أثر، فتأكدوا أنه لم يكن موجوداً في الدار، ويئسوا من العثور عليه، فانصرفوا بعيداً عن داره، وعادوا إلى الملك.

وفي القصر كان غضب الملك شديداً، فاحمر وجهه كأنه نار موقدة، وراح يصرخ فيمن حوله: كيف يهرب وهو رجل واحد؟ وكيف يهرب والحرس جميعاً قد وقفوا بأسلحتهم؟

قائد الحرس: مولاي... إننا جميعاً لا ندري كيف وقفنا ولم نره، لقد كنا نحس أن هناك قوة أكبر منا جميعاً قد جعلتنا نعجز عن الإمساك به، فاستطاع أن يفلت من بين أيدينا.

إنها قوة الله التي لا يعرفها هذا الظالم وأعوانه.

كان التعب قد نال من شالوم الذي هرب من المدينة، واشتد به الجوع والعطش فشرب ثم تناول الطعام، وأسلم جسده للأرض ينام عليها حتى يستريح من هذه الرحلة الصعبة، ومن تلك الأيام التي قضاها في سجن الملك، وهو لا يصدق نفسه أنه قد نجا من الموت بأعجوبة.

ومرت الأيام تتلوها الأيام، وشالوم هائم على وجهه لا يدري إلى أين يذهب؟ وما زال الجنود يبحثون عنه في كل مكان، ونفد الماء فازداد عطشاً، ثم نفد الطعام فجاع حتى اشتد جوعه، فرفع يده إلى الله قائلًا:

الحمد لله على ما أنعم به عليّ.

وما زال الجوع والعطش ينالان منه حتى أحس بتعب شديد، لكن لا حيلة له وأعوان الملك وجنوده يبحثون عنه في كل مكان، حتى خارج المدينة، ولكنه يثق في الله تعالى أنه لن يضيعه.

وعلى البعد رأى شالوم كهفاً صغيراً، فتثاقلت خطاه يمشي إلى هذا الكهف حتى إذا وصل إليه دخله ثم استسلم لنوم عميق.

فأفاق شالوم على أصوات في هذا الكهف الذي يحتمي فيه، إنه لا

يستطيع أن يعرف هل هذه الأصوات أصوات الجنود الذين يبحثون عنه؟ أم هي أصوات أخرى؟

واختبأ شالوم ليتبين جيداً لمن هذه الأصوات؟

جلس ثلاثة رجال يتحدثون في الكهف، قال الأول: إن الله تعالى أوحى إليّ أني رسول إلى هذه القرية (أنطاكية).

فقال الثاني: أحقاً ما تقول يا صادق؟

فقال الثالث: نعم يا سَمْعَانُ حقاً إن صادقاً رسول إلى هذه القرية، لكن أدلك على أمر عجيب؟

فقال سمعان: أمر عجيب أكثر من أن يصبح صادق رسولًا يا صدوق؟

فقال صدوق: نعم، لقد بعثني الله رسولًا إلى هذه القرية مع أخي صادق.

سمعان: إذن أنتما يا صادق ويا صدوق الآن رسولان إلى أهل أنطاكية، ولكن إلام تدعوان الناس هناك؟

صادق: ندعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام، وترك عبادة الملك الظالم أنطيخس.

صدوق: وندعوهم إلى الصلاة، وإلى الصدقة على الفقراء وإلى الأخلاق الحسنة الطيبة.

سمعان: إنها مهمة صعبة، فإن ملك أنطاكية جبار ظالم وأهلها أعماهم الشيطان عن الحق وهنا خرج صوت (شالوم) بعد أن كان مختبئاً: ليسوا كلهم كفاراً يا أخي.

صادق: من أنت؟ وما الذي أتى بك إلى هنا؟

فقال شالوم: لا تغضب يا نبي الله، فأنا مؤمن من أهل أنطاكية، هربت من بطش الملك وظلمه حتى أصابني الجوع والعطش والمرض، وإني أشهد أن لا إله إلا الله.

وكان هذا أول المؤمنين من هذه القرية، مسح النبيان على رأسه فزال كل تعب كان يلقاه، فقد أعطاهما الله تعالى معجزة[١] شفاء المرضى بلا دواء أو علاج بإذن الله تعالى.

فعزم النبيان على دخول (أنطاكية) على أنهما من الأطباء.

دخل (صادق وصدوق) إلى أنطاكية، فذهبا أول ما ذهبا إلى (ملتاس) الذي أعطاهما داراً يسكنان بها، ويعالجان فيها المرضى.

وبدأ الإثنان ينشران دعوة الإسلام بين الناس عن طريق علاج كل مريض، فالمريض يأتي يائساً من الشفاء، فيدعوان الله له، ويمسحان عليه فيشفى بإذن الله، فإذا شكرهما قالا له:

- اشكر الله الذي شفاك فهو ربك ورب الملك، هو الذي خلقنا جميعاً، وماس الملك إلا واحدٌ من خلقه إذا مرض لا يشفي نفسه إلا إذا شفاه الله.

واشتهر أمر الرسولين الطبيبين بالقرية حتى علم الملك بهما فأرسل إليهما بعد أن حكى جواسيسه وعيونه له أنهما يدعوان إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ووقف (صادق وصدوق) أمام الملك، فقال: اسجدا للملك الإله.

فقالا: لا إله إلا الله.

فصاح الملك: بل لا إله غيري أيها الطبيبان.

فقالا: إنما الله إله واحد، أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد[٢] وأنت بشر ضعيف.

---

(١) المعجزة: أمر خارق مخالف لما يراه الناس مثل عصا موسى عليه السلام، والإسراء والمعراج للنبي ﷺ، ولا يكون إلا لنبي من الأنبياء عليهم السلام.

(٢) الصمد: هو الذي يحتاج إليه كل الخلق، وكفواً: أي شبيهاً ونظيراً.

فصاح الظالم: بل أنا الإله، وستقتلان حتى لا يعبد الناس غيري في أنطاكية.

فقال الرسولان: بل الله أحق أن يُعبد، وسيهلكك الله إن لم تؤمن.

فصرخ في الجنود: خذوهما إلى السجن، لا أريد أن أسمع لهما صوتاً حتى يُقتلا.

وعلم أهل القرية بخبر الرسولين إلا أنهم لم يتحركوا فقد كفروا بالله، وأحبوا الكفر وفضلوه على الإيمان، وليس بعد الكفر ذنب.

أوحى الله إلى (سمعان) فصار نبياً من الأنبياء، وأمره ربه أن يدخل إلى أنطاكية ليدعو أهلها إلى الإيمان بالله، فصاح سمعان قائلًا:

- أبشر شالوم لقد بعثني الله نبياً إلى أهل أنطاكية.

فقال: خذ حِذْرك يا أخي فإن أهل أنطاكية شيمتهم[١] الغدر، والخيانة، وأنت نبي لا تحب إلا الوفاء بالعهد والأمانة.

ودخل (سمعان) إلى أنطاكية على أنه أحد الأغنياء حتى تعرّف على بعض وزراء الملك ثم تعرف على الملك نفسه، وصار واحداً من جُلَسائه، وأصفيائه دون أن يعلم الملك حقيقة أمره.

وأنه نبي من عند الله، بل كان الملك لا يصبر على فراق سمعان، فجعله معه في قصره، وراح يحدثه عن أسراره وهمومه، حتى حدّثه عن أمر (صادق وصدوق).

فقال سمعان: مولاي لماذا لا تحضرهما فلنسخر منهما.

فأمر الملك الحرس بإحضارهما، فجاء بهما الحرس من السجن، وانتظر الملك أن يقضي ليلة مليئة بالضحك.

فلما وصل الرسولان قال سمعان:

---

(١) الشيمة: الطبيعة والصفة.

- أنتما تزعمان أن الله هو الذي يشفي من الأمراض، ويجب أن نعبده ولا نعبد الملك.

فقالا: نعم، فالله خلقنا، ورزقنا، وهو الذي يشفينا إذا مرضنا، ويحيينا إذا مِتْنا.

فقال سمعان: مولاي دعني أسخر منهما، لنحضر مريضاً ونطلب منهما شفاؤه، ولن يشفياه، فتشفيه أنت بقدرتك!!

فصاح الملك: كيف؟

لقد وقع الملك في ورطة لا يعرف كيف يخرج منها، فأرسل إلى واحدِ من الأمراء أعمى البصر وحضر الأعمى.

فوقف الملك الظالم حائراً لا يدري ما يفعل، حتى تكلم الرسولان فقالا:

- عُد بإذن الله بصيراً صحيحاً.

فعاد إليه بصره في الحال. فنادى سمعان:

- يا ملك البلاد آمن بالله ولا تكفر فإنّا رُسل الله إليك ندعوك لعبادة الله الواحد الأحد.

وفهم الملك ما فُعل به، فأمر أن يوضع سمعان مع الرسولين في السجن ليقتلوا جميعاً أمام الشعب غداً، واستعد الجميع حين نادى المنادي:

- سيُعْدمُ الرُّسل الثلاثة غداً أمام قصر الملك.

حشد هائل، وجموع غفيرة[١] أمام قصر الملك (أنطيخس) تجمعوا ليروا إعدام الرسل الثلاثة، ونادى الرسل: نحن بشر مثلكم، والله يعلم إنا إليكم لمرسلون.

(١) أي ناس كثير.

فقال الكفار من أهل أنطاكية: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا[1] بِكُمۡ﴾ [يس: ١٨] وسنقتلكم، بل سنرجمكم بالحجارة حتى الموت.

فقال الرسل: إنكم قوم مُسْرِفون[2] عصيتم الله ورسوله، فآمنوا بالله بدلًا من الدخول إلى النار وهتف الشعب الكافر: الموت للكذابين.

ونسي هؤلاء أن منهم المريض الذي شفاه الله على يد (صادق وصدوق) فراحوا يرمونهم بالحجارة ووسط هذا الضجيج[3] كان صوت آخر يشق الكون:

- ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]، **اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أجراً ولا مالًا، اعبدوا الله الذي خلقكم، لقد عبدت الله وما لي لا أعبد الله وقد فطرني[4]، وقد هداني، اعبدوه تدخلوا الجنة يوم القيامة ولا تعبدوا الأصنام من دونه فتدخلوا إلى النار ويغضب عليكم الله.**

فصاحوا: لن نعبد إلا الأصنام.

ونادى المنادي: إنه (شالوم) فتركوا الرسل، وذهبوا إلى شالوم وتكاثروا عليه حتى قتلوه وهو ينادي: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥].

واستغل الرسل الثلاثة انشغالهم بضرب شالوم فهربوا بعيداً عن القرية، واستمر الكفار في ضرب شالوم المؤمن فلما مات صعدت روحه إلى الله فقال الله تعالى له:

- ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦]، ثم أكرمه ربه إكراماً كبيراً فقال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

---

(١) تطيرنا: تشاءمنا، والتشاؤم عكس التفاؤل.

(٢) مسرفون: تزيدون في كفركم.

(٣) **الضجيج: الصوت العالي.**

(٤) **فطرني: خلقني.**

ولم يكن شالوم يرى جسده وهو يقطع ويضرب بالنعال على الأرض، بل راح يدعو لقومه بالهداية والإيمان.

ولكن علم الله أنهم لا يؤمنون، فصاحت الملائكة صيحة عظيمة فلم يتحملها الكفار فماتوا جميعاً جزاءاً لهم على كفرهم بآيات الله ورسله.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٩].

الدروس المستفادة

(١) طاعة الله وطاعة الرسل.

(٢) تصديق الرسول بما جاء به من عند الله.

(٣) التضحية بكل ما نملك في سبيل الله.

(٤) الله تعالى ينصر المؤمنين، ويخذل الكافرين.

الأسئلة

- صل هذه الكلمات بعكسها:

(١) الأعمى
(٢) الإيمان
(٣) التشاؤم
(٤) الظلم
(٥) التفاؤل
(٦) العدل
(٧) الكفر
(٨) البصير

- عبر بكلمة واحدة عن الآتي:

(١) رجل يبعثه الله إلى قومه فيدعوهم إلى عبادة الله والإيمان به.

(٢) أمر خارق مخالف للعادة يعطيه الله لنبي من الأنبياء.

(٣) الذي يحتاج إليه كل مخلوق في كل شيء وهو من أسماء الله تعالى.

- اختر الصحيح من بين الأقواس:

(١) مؤمن آمن بالله وهرب من قرية أنطاكية .....
(سالوم - جالوم - شالوم)

(٢) جرت أحداث هذه القصة في قرية .....
(أنطاكية - حمص - النطاة)

(٣) كان الملك الظالم في هذه القصة يسمى .....
(أنطيقش - أنطيخس - أنطيصنش)

الإجابات

(١ - ٨) (٢ - ٧) (٣ - ٥) (٤ - ٦).

(رسول - معجزة - الصمد).

(شالوم - أنطاكية - أنطيخس).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١١] أصحاب الكهف

أرسل الله تعالى المسيح عيسى ابن مريم رسولًا إلى الناس يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فآمن به الحواريون - وهم ألحابه الذين لاقوه وآمنوا به، وعلموا أنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم.

ثم ذهب الحواريون يضربون(١) في الأرض يدعون الناس إلى عبادة الله واتباع تعاليم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فآمن كثير من الخلق حتى بلغت هذه الدعوة (بيزنطة) مملكة الرومان القديمة التي حكمها الملك الظالم (دِقْيَانوس) الذي كفر بالله، وأذاق المؤمنين أَمَرّ العذاب.

فأذاقهم أنواعاً منه حتى جلدهم بالسِّياط(٢)، وجوّعهم وعطّشهم، وألقى ببعضهم طعاماً للأسود والنمور وبقية الحيوانات المفترسة.

فخاف المؤمنون على أنفسهم حتى كتموا أمر إيمانهم، وظنّ الملك الظالم أنه قد قتل الإيمان في قلوب ألحابه، ونسي أن القلوب بيد الله لا يطَّلع عليها إلا هو سبحانه.

لقد تسرب الإيمان وتسلل حتى دخل إلى قلب الوزير (بِيرُونس) أحد وزراء دقيانوس، لكنه كتم الإيمان داخل قلبه حتى لا يجبره الملك الظالم على الكفر.

ولم يكن (بيرونس) وحده هو المؤمن بل آمن معه راع للغنم كان يرعى غنمه في أطراف البلاد، وكان هذا الرجل هو الذي هَدى الله به (بيرونس).

---

(١) أي يسافرون ويرحلون.

(٢) السياط: جمع (سوط) وهو الكُرباج.

ولا زال بيرونس يذكر يوم أن لقي الراعي وهو في غنمه ومعه كلبه الذي لا يتركه حتى راح يدعوه إلى الإيمان بالله قائلًا:

إن الإنسان له عقل، فكيف يعبد ما لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر؟

كيف نصنع من الحجارة تماثيلًا وألناماً لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم ثم نسجد لها ونجعلها آلهة تُعْبَدُ من دون الله، إن الله خالقنا وخالق الكون العظيم، لا نراه لكن نرى نِعمه في الأرض، ونرى قدرته في الخلق.

فهو خالق السماوات بنجومها، وشموسها، وأقمارها التي تطلع وتغيب بقدر معلوم.

وهو سبحانه الذي خلق الإنسان فأبدع خلقه، فلا إله إلا الله.

لقد كانت كلمات الراعي هي المفتاح الذي فُتح به قلب (بيرونس) للإيمان، فآمن الوزير الغني على يد الراعي الفقير.

* * *

كانت مدينة (أُفْسُوس) هي المدينة التي عاش فيها الملك (دقيانوس) وأعوانه، وكتم فيها المؤمنون إيمانهم، وكان بالمدينة شاب وسيم غني يكتم إيمانه هو الآخر ألا وهو (إيميلْخَا) فقد كان أبوه أحد أعوان الملك إلا أن ربه قد هداه للإيمان، فاستطاع أن يدعو غيره من شباب أفسوس للإيمان فآمن اثنان هما (دِيْموس، ومَرْطُوس)، وعلى يدهما آمن اثنان آخران هما (ويطونس) و(كشوطوش).

ثم كانت الخاتمة بشاب آخر وهو (محسيميلنينا) فكانوا سبعة آمنوا بالله على ديانة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانوا يجتمعون بالليل في دار الراعي الطيب الذي كان يعرف قدومهم إليه إذا سمع نباح[1] كلبه الواقف على بابه يحرسه.

وذات ليلة اجتمع سبعة المؤمنون في دار الراعي الطيب حتى عرف بعضهم بعضاً فلم يعد أحدهم يخفي إيمانه على الآخر فقد جمعتهم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

---

(١) النباح: صوت الكلب.

أراد (دقيانوس) الملك الظالم أن يخيف المؤمنين الذين يكتمون إيمانهم في قلوبهم، فجمّع أهل (أُفْسُوس) في يوم عيد لهم.

ثم أخرج أحد المؤمنين من سجنه فجعله في حلبة للسباق، وأطلق أسداً من الأسود الجائعة فالتهم المؤمن المسكين، ثم لاح الظالم:

- هذا جزاءٌ لكل من يؤمن بالله، طعامٌ لأسد جائع.

فخاف الناس جميعاً من بطش الملك وظلمه فأعلنوا أنهم لن يؤمنوا بالله بل سيعبدون الألنام وعلم (دقيانوس) الظالم بأمر المؤمنين السبعة.

وكانوا قد رأوا مشهد المؤمن الذي أكله الأسد الجائع، فعقدوا العزم على الهرب خارج (أفسوس) مدينة الظلم والكفر.

وأخذ الراعي معه بعض الطعام، كما أخذ (ويطونس) بعض الدراهم الفضية التي وضع عليها (دقيانوس) لورته كعادة الملوك في ذلك الوقت.

ولما تجهّز الراعي للخروج فتبعه كلبه الوفي الذي لا يفارقه أبداً، وكانت وجهتهم نحو كهف من الكهوف[١] خارج أُفْسُوس.

ودخل المؤمنون إلى الكهف، وبقي كلبهم خارج الكهف واقفاً على بابه، فالكلب نجس لا يجب أن يدخل إلى المكان الذي يسكنه المؤمنون لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولكن لا بأس إن ظلّ الكلب على باب الدار حارساً لها.

ودخل المؤمنون إلى الكهف فراح الراعي الطيب يدعو ربه عز وجل قائلًا:

- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا[٢]﴾ [الكهف: ١٠].

فقال بيرونس:

- إن قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها وليس لهم دليل على عبادتها، لقد افتروا على الله كذباً.

---

(١) كهف: حفرة صغيرة في الجبل تصلح لأن يسكن فيها الإنسان.

(٢) أي ربنا أعطنا رحمة من عندك واهدنا إلى الهدى والرشاد.

فاعتزلوهم في هذا الكهف يعطيكم الله من رحمته، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا[١]﴾ [الكهف: ١٦].

لقد آمن الفتية السبعة بالله تعالى، فصار الكهف الضيق أوسع من القصور الكبيرة، فاستراحوا بعيداً عن الكفر والكفار، ولجؤوا إلى الله تعالى فلما اهتدوا زادهم هدى وإيماناً.

وحلّ التعب بأجساد المؤمنين، فغمضت عيونهم، ثم أسلموا أنفسهم إلى النوم لينالوا قِسطاً من الراحة بعد رحلة الفرار من أفسوس.

* * *

النوم عادة من عادات البشر جعله الله علامة من علامات قدرته، والنوم سبب للراحة بعد التعب وقد تعوّد الناس أن يناموا كل يوم ليلًا ويصحوا نهاراً.

فإذا نال أحدهم قسطاً كبيراً من النوم سخر الناس منه واعتبروه (نوّاماً) كثير النوم، ولكن ما القول إذا نام أحدهم مرة طويلة تساوي ثلاثمائة سنة وتسع سنوات!!

هذه هي المدة التي نامها الفتية السبعة المؤمنون، ناموا (٣٠٩) سنة كاملة، فقد أراد الله تعالى أن يُعلّم الناس درساً جديداً، فهو سبحانه القادر على إماتة الناس ثم إحيائهم مرة أخرى كما سيفعل يوم القيامة، ولأن الفتية مؤمنون فقد جعلهم الله علامة وآية ودليلًا على قدرته سبحانه على بعث النفوس والأجساد بعد الموت.

نام الفتية وكان باب الكهف ناحية الشمال - عكس اتجاه القبلة[٢] - فكانت الشمس إذا طلعت تزّاور[٣] عن الكهف ناحية اليمين حتى لا تضرهم حرارتها.

---

(١) مرفقاً: ما تستعينون به على معيشتكم، وافتروا: كذبوا.

(٢) اتجاه القبلة جنوب شرق.

(٣) تزاور: تميل.

أما إذا غربت فكانت تميل ناحية الشمال، وبذلك كانت الشمس تنفعهم بدفئها ولا تضرهم حرارتها، فلم تحرق الأجساد والثياب، بل كانوا ينتفعون بها وهم نائمون!!

وكان مشهد الفتية وهم نائمون مشهداً مرعباً بحق فعيونهم مفتوحة لا تُغمض كأنهم مستيقظون ويتقلبون يميناً وشمالًا حتى لا تأكل الأرض ملابسهم وأجسادهم كما يحدث للأموات والكلب واقف على باب الكهف يجلس على مؤخرته واضعاً ساقيه الأماميتين كما تفعل الكلاب إذا نامت.

فلو رآهم أحدٌ وهم على هذه الحال لولَّى[١] فراراً، ولامتلأ قلبه رعبًا.

بعد مرور ثلاثمائة سنة وتسع سنين كان أمر الله تعالى بأن يستيقظ الفتية المؤمنون، فقاموا من نومهم، وأجسادهم تكاد تتكسّر من فرط النوم، فقد أزاح الله عن أذنهم الحجاب[٢] فسمعوا فقاموا من نومهم، فسأل أحدهم:

- كم لبثنا نائمين؟

فقال الآخر وهو لا يتصور هذه المدة الطويلة التي نامها:

- ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ﴾ [الكهف: ١٩] فقال الثالث: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ[٣] فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا[٤]﴾ [الكهف: ١٩].

---

(١) ولّى: هرب.

(٢) لأن أول الحواس التي تنام هي حاسة (السمع) فينام الإنسان لا يسمع شيئاً فإذا سمع استيقظ ولقد ضرب الله على آذانهم مدة ثلاثمائة وتسع سنين.

(٣) لبثتم: نمتم.

(٤) ورقكم: الوَرِق: هي الفضة، أزكى: أطهر وأطيب. وليتلطف: ليكن لطيفاً حتى لا يشعر به الملك وجواسيسه.

وقال الآخر:

- إنهم إن يظهروا علينا - أي يعرفوا مكاننا - يرجُمونا أو يعيدونا إلى ملتهم ولن تفلحوا إذا عُدتم إلى الكفر بعد الإيمان.

وخرج أحدهم معه الدراهم الفضية وهو لا يدري أنه ظلّ نائماً ثلاثة قرون وأكثر بتسع سنوات.

فإذا به يرى عجباً . . . . . إنها مدينة أخرى غير أفسوس التي يعرفها، فالبيوت ليست في أماكنها، وبوابة المدينة ليست عليها تلك الألنام، ولا حتى تمثال الملك (دقيانوس) فهل تغير كل شيء بين يوم وليلة؟

والأدهش من ذلك أن الناس ينظرون إليه متعجبين، فخشي على نفسه من جواسيس دقيانوس - وهو يظن أنه لا يزال حياً -، وسريعاً ذهب إلى أحد الباعة ثم أخرج دراهمه الفضية فنظر البائع لها فقال:

- ما هذه الأموال العجيبة؟ من أنت؟ ولورة من هذه؟

فقال: هذه لورة الملك دقيانوس!

فقال البائع: إنك مجنون، لقد مات دقيانوس من قرون ثلاثة مضت لعنة الله عليه ذلك الكافر فدُهش الفتى وتعجّب، وكأنما وقفت الدماء عن التدفق في عروقه وهو يقول:

- ثلاثة قرون، لعنة الله، دقيانوس مات، كافر!!

وسريعاً أحاط الناس به ثم أخذوه إلى قصر الملك، فسأله عن قصته فحكى له عن هروبه وألحابه الستة من دقيانوس، فتعجب الملك قائلًا:

- آمنت بالله القادر، جعلكم سبعة وثامنكم كلبكم تنامون ثلاثة قرون ثم يحييكم مرة أخرى، يا لقدرة الله تعالى.

فقال الفتى: أنتم تؤمنون بالله؟!

فحكى له الملك أن دقيانوس قد مات، وأنهم جميعاً قد آمنوا برسالة عيسى عليه السلام ثم طلبوا منه أن يأخذهم إلى كهف ألحابه، فذهب إلى حيث الكهف.

وتكاثر الناس حتى يروا هذا المشهد العجيب، فاستأذن الفتى من الملك ليدخل أولًا على ألحابه حتى لا يخافوا ويهربوا ظناً منهم أن دقيانوس لا يزال حياً.

فدخل عليهم يحكي لهم ما كان من أمرهم ونومهم، فبكوا، وزادهم الله إيماناً إلى إيمانهم.

ثم أسلموا أنفسهم مرة أخرى للنوم فكانت النومة الكبرى التي لا استيقاظ منها إلا يوم القيامة، لقد ماتوا هذه المرة.

ورأى أهل القرية هذه العجيبة من عجائب الخالق سبحانه، فبنوا على هؤلاء الفتية المؤمنين مسجداً، وكان هذا خطأ فادحاً منهم، فالله تعالى قد نهى عن اتخاذ القبور مساجد يُصلّى فيها، وبقيت القصة حية في قلوب المؤمنين جميعاً.

الدروس المستفادة

(١) اللجوء إلى الله تعالى ودعائه في كل وقت وحين.

(٢) الإيمان يجعل الناس متساويين لا فرق بين غني وفقير.

(٣) قدرة الله تعالى على الخلق والإماتة والإحياء، وبعث الناس يوم القيامة.

(٤) عدم الصلاة في المساجد التي بها قبور.

الأسئلة

- ما هو جمع هذه الكلمات؟

(وزير - غني - الكهف).

- ما معنى هذه الكلمات؟

(تزاور - ولّى - النباح).

- ما هو اتجاه القبلة؟

- ما هو لوت الكلب؟

- ما هو المكان المحفور في الجبل الذي يصلح للنوم والسكن؟

- اذكر ما استفدته من هذه القصة.

الإجابات

(وزراء - أغنياء - كهوف).

(تميل - هرب - لوت الكلب).

(جنوب شرق - نباح - الكهف).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١٢] الإنسان والشيطان

اتفق الإخوة الثلاثة على أن يذهبوا إلى (بَرْصِيصَا) الراهب في صومعته(١) ليطلبوا منه أن يَرْعَى أختهم أثناء سفرهم في رحلة تجارية.

فلا أحد يُؤْمَن في هذه القرية على فتاة في سن الزواج غير بَرْصِيصا راهب بني إسرائيل وعابدهم الذي عُرِف عنه الخير والصلاح.

وذهب ثلاثتهم حيث صومعة (بَرْصيصا) فعرضوا عليه الأمر، فرفض أولًا بحجة أنه رجل عابد لا يملك الوقت لرعاية أختهم، وأنها سوف تشغله عن عبادته.

والشيء الذي لم يعرفه الإخوة أن برصيصا رَجُل يحب الفخر وأن إيمانه ضعيف ذلك أنه اغترّ بإيمانه، ظنّ أن لا قدرة للشيطان عليه، ونسي المغرور أن أول درجات سلم الصعود إلى النهاية هو الغرور حيث يفتح قلبه للشيطان.

واستطاع الشيطان أن يوسوس (لبرصيصا) فقال:

- إنه عمل خير لهؤلاء المساكين، فوافق على طلبهم، وانشغل بصلاتك وعبادتك بعيداً عنها.

فوافق المغرور على طلب أستاذه (إبليس) واشترط على الإخوة أن يبنوا لأختهم كُوخاً قريباً من صومعته لتسكن أختهم فيه فلا يراها ولا تراه، فوافق الإخوة.

وهكذا دقّ برصيصا المسمار الأول في نعشه دون أن يدري.

كان برصيصا يحمل الطعام إلى كوخ الفتاة كل يوم ولكن يتركه في

(١) الصَوْمعة: بيت الراهب الذي ينقطع للعبادة بعيداً عن الناس، وهذه ليست من المسلمين.

منتصف الطريق ثم يعود، وتأتي هي فتأخذ طعامها كل يومٍ، ولا زال هذا فعله كل يوم.

وللشيطان في حيله ومكره أسلوب لا يتغير فهو يفتح أبواب الخير من أجل باب واحدٍ من الشر لقد راح إلى برصيصا يقول له وهو لا يراه:

- مسكينة تلك الطفلة، تضع لها الطعام في منتصف الطريق وتعود، فلعل كلباً أو قطاً، أو أحداً آخر من الناس يأخذ الطعام فتبيت هي جائعة دون أن تدري.

وفكر (برصيصا) في أمر هذه الفتاة وانشغل عن صلاته وعبادته في تلك الليلة حتى قرر أن يصل إلى باب الكوخ ويضع الطعام على الباب ثم يعود حتى لا ينظر إليها وتنظر إليه.

وقام في الصباح فحمل الطعام إلى باب الكوخ ثم طرق الباب وانصرف إلى صومعته يعبد الله ولا زال شيطانه معه يوسوس له، ويدبر له أمراً آخر، فراح يصوِّر هذه الفتاة في خياله، فيراها ويتخيلها جميلة صغيرة، وهو الرجل الذي انعزل عن الناس من أجل العبادة زمناً طويلاً.

وسرعان ما استغفر برصيصا ربه وعاد إلى عبادته لكن بقلب آخر غير ذلك القلب الذي كان يعرفه، فلقد شاركته الفتاة قلبه دون أن يراها أو تراه.

وقام برصيصا في يومه التالي فوضع الطعام ثم انصرف، ودخل في عبادته وصلاته، ولكن شيئاً ما قطع صلاته وعبادته:

- إنه يضع الطعام أمام باب الكوخ ثم يمشي، فما أدراه أن الفتاة تأخذ الطعام، فلعلها أن تكون يوماً من الأيام مريضة أو متعبة تحتاج إلى طبيب أو دواء، فعقد العزم على أن يضع الطعام ثم يراقبها من بعيد وهي تأخذه حتى يطمئن قلبه.

ولم يَدُره بخلده ولا بعقله أن هذه هي وسوسة شيطانه الذي تغلّب عليه.

يا لها من رائعة جميلة، أجمل بكثير مما تخيلتها!!

كانت هذه كلمات برصيصا حين رأى الفتاة لأول مرة منذ أن سكنت الكوخ المجاور له، وها هي الآن قد تعلق بها قلبه حتى عاد إلى صومعته لا يفكر إلا فيها، فأينما ذهب طاردته بوجهها، وكلما أراد الدخول إلى العبادة إذا بها تظهر في عقله، فتشغله عن عبادة ربه والصلاة له، وما كان هذا إلا من فعل شيطانه.

واستجاب برصيصا لوسوسة شيطانه، ولو استعان بالله عليه فقال:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لأعانه الله، ولطرد شيطانه بعيداً عنه، لكنه استجاب لكل كلمة راح يوسوس له بها:

- إنك عابد منعت نفسك عن لذّات الدنيا، فما ضرّك لو ارتكبت خطأً ثم تُبْتَ إلى الله بعد ذلك، سيغفر الله لك يا برصيصا.

وحاول برصيصا التخلص من هذه الأفكار إلا أنه عاد ليذكر جميلة الكوخ التي رآها ففكر فيها حتى مضت ليلته دون صلاة، وعزم على أن يكلمها وتكلمه.

وما أن جاء يومه التالي حتى طرق بابها فلما ظهرت بوجهها حتى احمرّ وجهه، وسال لُعابه، وارتبك فقال: جئت أسأل عن حالك فلعلك بخير.

فقالت: بخير يا سيدي، فهل تدخل قليلًا؟

وسريعاً ما خجل برصيصا من نفسه، فقال: لا إنما جئت أسأل عن حالك، ثم انصرف وعادت أمواج الأفكار العالية تغرق عقله وقلبه حتى صار وحيداً في ميدان الفكرة، ولأنه وحيد ليس معه من يعينه على الطاعة فقد تمكن منه الشيطان، فالشيطان ذئب الإنسان، وهو من الواحد أقرب منه إلى الإثنين أو الثلاثة، وما أسهل مهمة الشيطان حين يكون الإنسان وحده، وإلا فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

لقد صوّرها الشيطان في أحلامه ومنامه، وراح صوتها يرن في أذنه، وصورتها ووجهها لا يفارق عينيه، فقام فزعاً من نومه يتمنى لو كلمها وكلمته مرة أخرى.

وفتح (برصيصا) قلبه وعقله لشيطانه، فدخل هذه المرة إلى كوخ

الفتاة، فكلمها فكلمته وأعجبها وأعجبته حتى كانت الفاحشة التي نتج عنها الثمرة الحرام في بطن هذه الفتاة.

وعصى برصيصا ربه في نفس المكان الذي عبده فيه فيا للعجب!!

***

وجد الشيطان (برصيصا) فريسة سهلة أمامه، فبعد أن ولدت الفتاة غلاماً من حرامٍ وسوس لبرصيصا فقال له:

- إذا أتى إخوة الفتاة وعلموا بأمر الغلام فسيقتلونك!!

ففكّر العابد الأبله[١] في أمره فهداه شيطانه إلى حيلة أخرى، فقتل الطفل الصغير حتى لا يشك أحدٌ في أمره.

وعندما عاد إلى صومعته حدثه شيطانه مرة أخرى فقال:

- لعلّ الفتاة أن تخبر أهلها بما حدث، فقد حزنت لأنك قتلت طفلها.

وفكّر برصيصا، ودبّر، وقدَّر، وفكّر ثم أطاع شيطانه فقال في نفسه:

- من يقتل مرة يقتل ألف مرة سأقتلها هي الأخرى.

وطلب من الفتاة الخروج معه فخرجت فذبحها ثم دفنها بجوار طفلها، وعاد إلى صومعته يحاول أن يتوب إلى الله، ولكن هيهات فلقد فعل ما لم يفعله الشيطان نفسه؟!

وعاد الإخوة فجاؤوا إلى (برصيصا) وهو يدّعي العبادة فسألوه عن أختهم فقال:

- ماتت فدفنتها، ثم أراهم قبرها.

وهكذا كذب، وقتل، وارتكب الفاحشة.

وعاد الشيطان هذه المرة إلى الإخوة الثلاثة، فجاءهم في نومهم على هيئة رجلٍ مسافر فسلّم عليهم ثم قال لهم:

- إن أختكم دفنها برصيصا بعد أن ذبحها مع وليدٍ لها من الفاحشة.

---

(١) الأَبْلَه: ضعيف العقل.

ثم دلهم على قبرها وأفاق الإخوة الثلاثة فإذا بهم قد رأوا نفس الحُلْم فعزموا على الذهاب إلى قبر أختهم، ففتحوا القبر، فوجدوا أختهم مذبوحة ومعها طفلها فأخذوا برصيصا إلى حاكم البلاد ليحكم فيه فأمر بإيداعه السجن حتى يُقْتَل جزاءً له على فِعْلَتِه، وسُجن العابد (برصيصا)، وفي الصباح جُهِزت المشنقة، وجلس برصيصا في انتظار قتله، فجاءه الشيطان فَرِحاً مسروراً يقول له:

- أتدري من أنا؟

فقال: لا

قال: أنا شيطانك الذي أضللتك وأغويتك حتى أوقعتك في الفاحشة، وجعلتك تقتل الفتاة، وأرشدت إخوتها إلى قبرها، فأطعني حتى أنقذك من القتل.

قال: ماذا أفعل؟

قال: اسجد لي.

وبدلًا من أن يتوب (برصيصا) الأحمق إلى ربه سجد لشيطانه، فمات وهو يسجد له، فكان من أهل النار فصاح الشيطان: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] وما خاف الشيطان من الله يوماً ولكنه يسخر من هذا الأحمق.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

* * *

الدروس المستفادة

(١) الشيطان عدو مبين للإنسان.

(٢) الإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تبعد الشيطان عنّا.

(٣) الغرور من صفات الشيطان لا مِنْ صفات المؤمنين.

(٤) اللجوء إلى الله والتوبة من كل الذنوب.

الأسئلة

- **اكتب هذه القصة في عشرة أسطر من أسلوبك.**
- **عبر عن هذه المعاني بكلمة واحدة:**
  - رجل ينقطع إلى الله يعبده بعيداً عن الناس.
  - سكن قديم للرهبان في الصحراء.
  - صفة سيئة من صفات الشيطان.
  - ما يقوله الشيطان للإنسان دون أن يراه.

- **أكمل الآتي:**

- ذهب الإخوة الثلاثة إلى . . . . العابد في . . . . فطلبوا منه . . . . أختهم أثناء سفرهم فوسوس له . . . . فوقع في . . . . ثم . . . . الفتاة وطفلها وطلب منه . . . . أن . . . . له فمات فدخل . . . . فقال الشيطان إني . . . . منك إني . . . . الله . . . . العالمين.

❋ ❋ ❋

الإجابات

(الراهب - الصومعة - الغرور - الوسوسة).

(برصيصا - صومعة - رعاية - الشيطان - الفاحشة - ذبح - الشيطان - يسجد - النار - بريء - أخاف - رب).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١٣] أصحاب الجنة

صباح جديد أعلنت عن قُدومه شمسٌ طلعت من مشرقها بلا غيوم.

واستنشق الكون كله نسيم الصباح العليل، ورأى المؤمنون جلال الله تعالى في خلقه.

فتلكم هي الشمس التي تُشرق بشعاعها الذهبي الذي يكاد يخطف الأبصار بعد أن باتت ليلتها في مكان آخر من الأرض.

وسماء صافية كأنها راحت تفاخر بِزُرْقتها التي لم يخالطها سحابٌ.

وصوت الطيور يملأ كل مكان في حديقة الشيخ الصالح [عبد الله].

وكانت حديقته قد امتلأت بالخيرات من كل الفواكه والثمار التي زينت فروع الأشجار حتى صارت حديقته جنة من جنات الله على الأرض.

فسمَّاها أهل [ضروان](١) (الجنة) ولقد كانت بحق جنة من الجنات، فالشيخ الصالح قد اجتهد في زرعها، وغرس أشجارها، واعتنى بزروعه وثماره حتى آتت أُكلها في كل حين(٢).

ولم يكن الشيخ الصالح إلا رجلًا مؤمناً يعرف حق الله تعالى في ماله، وثماره، وزروعه، فكل وقت حصاد(٣) إذا جاء أخرج حق الله تعالى من الزكاة(٤) في ثمار حديقته أو قُل [جنته].

---

(١) ضروان: قرية باليمن ناحية صنعاء.

(٢) أي: آتت الثمار وأخرجتها في كل وقت.

(٣) الحصاد: وقت قطف الثمار.

(٤) وزكاة الزروع على طريقتين: الأولى: أن يُخرج صاحبها نصف العُشر إذا كانت تُروى بالآلات الزراعية. والثانية: أن يُخرج صاحبها العُشر إذا كانت تُروى بماء المطر.

فكانت مباركة آتت أُكلها ضعفين بإذن ربها، فأكل منها فقراء المدينة ومساكينها؛ لتصبح جنة الفقراء يمرحون فيها، ويأكلون من أطايب ثمارها.

فعاشوا سُعداء في جنة الشيخ الصالح، وعاش هو راضياً بما يعطيه الله له من رزقه الطيب الواسع.

ولم يكن هناك ما يُزعج الشيخ أو يُقلقه في حياته هذه إلا أبناءه الذين كثيراً ما عارضوه في أمر الزكاة، والتصدق على الفقراء، ولكنه كان يأمل أن يهديهم الله تعالى.

***

اجتمع أبناء الشيخ (عبد الله) الثلاثة حين كان أبوهم خارج الدار، وقد ظهرت عليهم علامات الغضب والإستنكار لكل ما يفعله أبوهم بعد ما أخرج زكاة الزروع، وأعطاها للفقراء.

قال الولد الأكبر: ماذا يفعل أبانا؟ يخرج الزكاة!!

فقال الأصغر: نعم زكاة الزروع، وينسى أننا قد نصبح أغنى أغنياء (ضروان) إذا باع هذه الفاكهة التي يتصدق بها بدلًا من أن يرميها لهؤلاء الـ...... الفقراء.

الأوسط: إنه حق الله في الزروع.

الأصغر: وهل أمر الله بتضييع المال وإعطائه لكل من يدَّعي أنه فقير؟

الأكبر: أم هل أمره الله أن ينسانا من هذه الثمار؟!

الأوسط: لا، بل إن الله تعالى هو الذي أنبت هذه الزروع، فنحن لم نفعل شيئاً إلا أننا وضعنا البذور في الأرض، ثم رويناها بالماء.

أمّا النبات فالله تعالى هو الذي يأمره فيكبر ويُنبت فيصير شجرة بعد أن كان بذرة، ثم تخرج هذه الشجرة الثمار بأمر الله أيضاً.

الأصغر: ها ..... كلام لا ينفع ولا يضر.

إننا كل يوم نسقيها بالماء، ونحافظ عليها من الآفات[1]، ونرعاها.

(١) الآفات: حشرات الأرض الضارة كالديدان. والمفرد (آفة).

الأوسط: بل إن الله تعالى هو الذي حفظها من أن تنزل عليها نارٌ فتحرقها، أو مطر فيغرقها أو حتى آفة لا نراها أو لا نستطيع نحن علاجها.

وما يخرجه والدنا هو بعض حق الله، وليس كله، فلو كان الله تعالى قد أمرنا بإخراج الحق كله لما بقي لنا منها أي شيء.

الأكبر: اعترفنا بحق الله. فهل أمر الله بأن يعطيه أبونا للفقراء والمساكين؟

الأوسط: نعم، فإن الله أعطانا المال والثمار وجعلنا أُمناء عليهما، وجعل بعض الناس فقراء، ليعطي الغني بعض المال للفقير حتى يعيش، وإذا لم نعطي للفقير شيئاً، فمن أين سيأكل هو وأسرته.

الأكبر: فليعمل، وليأكل من عمله.

الأوسط: بعضهم يعمل، ولكن الله هو الرزاق وسّع على بعضنا، وضيّق على الآخرين ليختبرنا، ويعلم من يؤدي حقه سبحانه ممن لا يفعل.

الأصغر: إنك مثل والدنا، ويبدو أن المرض في عائلتنا بالوراثة.

فقال الأوسط: الآن الزكاة مرضٌ ... لا حول ولا قوة إلا بالله، هداكم الله يا أخويّ الكريمين.

ثم تفرق الثلاثة، فذهب الابن الأوسط حيث أبيه، وذهب الأخوان الباقيان بعيداً عن والدهما ليقضيا ليلة أخرى من الغيظ والحقد على أبيهما وأخيهما.

إلى حديقة الشيخ عبد الله جاء فقير من الفقراء يسأله بعض الثمار لطفله المريض الذي يبكي ولا يجد ما يأكله، فدخل الشيخ إلى حيث الثمار وأعطى الفقير بعضها ثم تصدّق عليه ببعض المال فإذا بالفقير يعلو صوته.

- بارك الله لك في مالك، وجنتك، بارك الله لك أيها الشيخ الطيب.

فنظر الشيخ إلى أولاده وهو يقول:

- بمثل هذه الدعوات من هؤلاء يُبارك الله لنا في حديقتنا وثمارها يا أبنائي.

إلا أن ابنه الأكبر راح يعض شفتيه من الغيظ وهو يقول:

- بل بمثل هذا الفقير وأمثاله لن نجد بعد ذلك ثمرة واحدة، أو درهماً من المال لنأكل به.

فغضب الشيخ وقال:

- لن يُبارك الله لك ولا لإخوتك في شيء طالما أنت على هذه الحال من السخط.

وتدخل الإبن الأوسط ليهدئ من أبيه فقال:

- يا أبي إن أخي لا يقصد شيئاً، وإنما يقصد أنك أخرجت زكاة المال والثمار، فلا حاجة لنا أن نُخرج ثماراً جديدة، ومالًا جديداً للزكاة.

- **فقال الشيخ:**

- **يا بُني إن الصدقة تُطفئ غضب الله تعالى، وترفع من درجة المؤمنين في الجنة، وإن الله تعالى يُعطي على الحبة الواحدة من الصدقة مائة حسنة، فلو تصدقنا بسبع حبات لجعل الله في كل حبة مائة حبة.**

أي سبعمائة حبة، والحسنة بعشر أمثالها، أي سبع آلاف حسنة، والله يزيد ويضاعف لمن يشاء، لأن الله تعالى ذو الفضل العظيم.

فقال الأوسط:

- وماذا أيضاً عن أجر المتصدقين يا أبي؟

- **يعطيهم الله تعالى أجراً لم يُعطه لأحدٍ من الناس.**

فإن الشمس يوم القيامة تكون قريبة من الرؤوس فيحتاج الناس إلى الظل وإلى الماء من كثرة العطش، فلا يجدون إلا ظلّ عرش الله تعالى.

ومن السبعة الذين يجعلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه.

فقال الولد الأصغر ساخراً: ولكننا في الدنيا نحتاج إلى المال لا الحسنات.

فردّ الأوسط: ولكننا في الآخرة لا نحتاج إلا للحسنات، والآخرة خيرٌ وأبقى، وحينما تقف أمام الله لن ينفع المال ولا الغنى لأنه سيزول ويذهب بموتك.

فقال الشيخ عبد الله:

– اعلموا أن من لم يخرج زكاة المال جعله الله تعالى يوم القيامة عِبرة وعِظة، وعذّبه عذاباً أليماً، فمانع الزكاة يُحبس يوم القيامة في قفص من النار حتى يقضي الله بين الخلائق جميعاً من لَدُن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى آخر من يموت من الناس.

ثم ينظر الله في أمر مانع الزكاة ثم تتحول أمواله بعد ذلك إلى طَوْقٍ من نار على رقبته، وتوقد النار على كنزه من الذهب والفضة ثم يُكوى بها جبهته، وجنبه، وظهره.

فقال الأخ الأكبر دون أن يسمعه أبوه:

– بل سأتوب قبل الموت وسيغفر الله لي، فأتمتع بالمال في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

وإن كان أبوه لا يسمعه، فإن الله تعالى يَسمعه وهو الذي يسمع كل الأصوات لا تَخفى عليه لأنه السميع البصير، وإن الله لا يتوب على من صمم على الذنب، ونسي أن الله جعل التوبة للذين ينوون التوبة لا الذين ينوون المعصية.

ثم تفرق الجميع حين حان موعد الصلاة، وحينما سجد الشيخ عبد الله كان دعاؤه:

– اللهم اهد أبنائي!!

– أوصيكم بالفقراء خيراً، وبألّا تنسوا حق الله من الزكاة في جنتنا.

كانت هذه هي كلمات الشيخ عبد الله على فراش المرض، الذي تحول بعد قليل إلى فراش الموت حيث شاء الله تعالى أن يموت الرجل الطيب صاحب الجنة قبل أن يأتي وقت الحصاد بقليل.

وعاد الإخوة الثلاثة بعد أن دفنوا أبيهم، فبكوا على رحيله، وحزنوا لفراقه، ثم ذهبوا بعد ذلك كلٌّ إلى حيث ينام.

فلما أصبح الصُّبح اتجهوا إلى (الجنة) حيث بدؤوا في إعداد كل شيء لموسم الحصاد الذي اقترب وقته.

وجهزوا حديقتهم لاستقبال هذا الموسم سُعداء بما قد أخرجته (الجنة) من ثمار وفيرة.

لقد كانت الثمار على الشجر كأنها نجوم تُضيء السماء، أو مصابيح تُزين هذه الأشجار، وكان العطاء وفيراً، والرزق كثيراً، فراح كلٌّ منهم ينظر إلى هذه (الجنة) ويتمنى لو كان أبوهم حياً لِيُشاركهم فرحتهم بهذه الثمار الكثيرة.

وعاد الثلاثة إلى دارهم، وبدأ الحديث يدور بينهم.

فقال الأخ الأكبر:

- عَلامَ(١) نُعطي أموالنا هؤلاء المساكين؟!

- فقال الأوسط: هذا حق الله وقد وصانا الله به، وكذلك وصاك أبوك قبل موته.

- الأصغر: لقد كان أبونا أحمق، كان يعطي ثماره وماله للفقراء، ولو بعنا هذه الثمار لَصِرنا أغنى الأغنياء، ووفرنا مالاً كثيراً.

فرد الأوسط: تَسُب أباك وتتهمه بالحماقة، وتريد منع الزكاة؟!

فقال الأكبر: لا تَسُب أباك فهذا خطأ منك، ولكنك على الحق إذا قلت: لن نعطي الفقراء هذا العام من الثمار شيئاً.

الأوسط: كيف؟ كيف تمنع أمراً أمرنا الله به، أنسيت كل ما قيل في هذا الأمر؟!

الأصغر: إنه أخوك الأكبر، فاستمع إلى ما يقول، نفذ أمره، وإلا حرمناك أنت الآخر من هذه الثمار.

الأكبر: يا أخي . . . إنه مالُنا، وأبوك - يرحمه الله - قد أخرج الزكاة

(١) عَلامَ: على أي شيء، ولماذا؟

لسنوات طويلة، سوف نحتفظ بهذه الأموال هذا العام فقط، وبعد ذلك سنخرج هذه الأموال في كل عام.

الأوسط: لا تفعل يا أخي، فإن من منع الزكاة مرة يمنعها ألف مرة.

الأصغر: الزكاة ... حق الله ... الفقراء، دعك من هذا، وضع يدك في يدنا سنصير أغنياء، ستصبح عندنا الأموال والثمار، وكفى الفقراء ما قد نالوا من الزكاة من قبل.

الأكبر: لقد خطرت في بالي فكرة.

الأصغر: فما هي؟

الأكبر: سنقوم بعملية الحصاد ليلًا، فنجني الثمار قبل الصباح، وقبل دخول الفقراء والمساكين، فإذا جاء الفقير صباحاً لم يجدوا شيئاً من الثمار، فعادوا بلا ثمار، وفعلنا نحن ما نريد.

الأوسط: يا أخي اتق الله، ألا تسبحون الله، وتشكرونه على ما أعطاكم من النعمة، وتستغفرونه عن هذا.

الأصغر: سنستغفر لكن بعد الحصاد.

* * *

أسدل[١] الليل ظلامه على الكون حتى صار الناس لا يرون بعضهم البعض من شدة الظلمات في هذه الليلة.

ومن بيت الشيخ عبد الله انطلق الإخوة الثلاثة وهم يتخافتون[٢] خوفاً من سماع أحدٍ من الفقراء بهم.

فقد كان أبوهم - رحمه الله - يدعو الفقراء يوم الحصاد ويخبرهم بموعده.

وخوفاً من أن يبوح الأخ الأوسط بالسر أقسم أخواه بالله ألا يدخلنها

---

(١) أسدل: أرخى، فكأن الظلام كالستار للكون يمنع الرؤيا.

(٢) يتخافتون: يخفون كلامهم ويجعلونه سراً لئلا يعلم بهم أحد.

اليوم عليهم مسكين، لعلمهم أن هذا الأخ سيبر بقسمهم ويطيعهم، وصاروا على حَرِدٍ[١] قادرين وراح كلٌّ منهم يُمنِّي نفسه بالمال الوفير الذي سيدخل خزائنه بعد بيعهم للثمار، فإذا دخل المال، اشترى به بضائع وباعها، فزاد المال وزاد حتى صار جبلًا من الجبال فاشترى بدلًا من الحديقة ألف حديقة، وصار الناس عبيداً له وخدماً.

وساروا بأحلامهم حتى وصلوا إلى الحديقة، فإذا بالظلام الشديد لا يكاد أحدهم يَرى يده إذا أخرجها من جيبه، ثم نادى الأخ الأكبر.

- ما هذا الظلام؟ إنني لا أرى باب الحديقة.

- قال الأصغر: إنا لضالون، ضللنا الطريق.

فقال الأوسط: بل نحن محرومون، حرمنا الله تعالى ثمار الحديقة، ألا ترون مكان الحديقة الآن قد صار أرضاً محترقة، إن الله تعالى قد عاقبنا الآن فأحرق الجنة التي تعب أبوكم فيها، وأردتم منع الزكاة منها، ألم أقل لكم لولا تُسبحون الله وتشكرونه؟!

وهنا علم الأخوان بالذنب الذي فعلاه فقالا:

- سبحان ربنا إنا كُنا ظالمين.

ثم بدؤوا يتلاومون[٢]، فقالوا:

- ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [القلم: ٣١]، ظالمين، وعسى الله أن يُبدلنا[٣] خيراً من جنتنا هذه، فقد تُبنا إلى الله، و﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].

ولكنهم ندموا حيث لا ينفع الندم، واعترفوا بالذنب بعد العقوبة، ويا ليتهم أخرجوا زكاة مالهم كما أمرهم الله تعالى!!

---

(١) حَرد: منع وقصد، يقصد أنهم صاروا قاصدين لمنع الزكاة.

(٢) يتلاومون: من اللوم وهو العِتاب والتأنيب والتوبيخ.

(٣) يُبدلنا: يُعطينا غيرها.

الدروس المستفادة

(١) الزكاة حق للفقير أمرنا الله تعالى به.

(٢) ثواب الزكاة والصدقة عظيم عند الله.

(٣) عقاب مانع الزكاة كبير، وعذابه أليم يوم القيامة.

(٤) التوبة من الذنب خيرٌ من التصميم عليه.

(٥) الله تعالى هو الرزّاق، أغنى البعض، وأفقر الآخرين، والمسلم أخو المسلم يُعطيه حق الله في ماله وثماره.

(٦) مقدار زكاة الزروع العُشر أو نصف العُشر (راجعها داخل القصة).

الأسئلة

(١) لماذا سُميت حديقة الشيخ عبد الله بـ (الجنة)؟

(٢) أجب بكلمة واحدة:

- دارت أحداث هذه القصة في مدينة [. . . . . .] باليمن.
- كان أعقل الإخوة الأخ [. . . . . . .].
- حق الله تعالى في المال يُسمى [. . . . .].

(٣) من جزاء صاحب الزكاة.

(أ)

(ب)

(جـ)

(٤) أما عقاب مانع الزكاة:

(أ)

(ب)

(جـ)

(٥) اذكر شيئاً من دلائل قُدرة الله تعالى كما فَهِمت من هذه القصة.

(٦) ماذا استفدت من هذه القصة؟

الإجابات

(١) أجب عن هذا السؤال بنفسك.

(٢) (ضروان - الأوسط - الزكاة).

(٣) (أ) يرضى عنه الله تعالى.
(ب) يجعل له الحسنة بمائة حسنة.
(جـ) يذهب غضب الله تعالى بهذه الصدقة.

(٤) (أ) يدخل النار ويغضب عليه الله تعالى.
(ب) يحبس في قفص من نار يوم القيامة.
(جـ) يُكْوى جنبه وظهره وجبهته بالكنز الذي بخل به.

(٥) - قدرته سبحانه على إنبات الزرع.
- قدرته سبحانه على إخراج الشجر من البذرة.
- قدرته سبحانه على رزق العِباد.
- حفظه تعالى للشجر والثمر من الآفات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١٤] أصحاب الأخدود

في قصر الملك دار حديثٌ بينه وبين ساحره العجوز الذي أحس أن عمره قد قارب على الإنتهاء وأنه صار الآن ينتظر الموت بين لحظة وأخرى فقال الملك:

- وما العمل يا ساحر البلاد؟، فأنا لا حيلة لي بدونك، إن الناس يعبدونني في هذه البلاد بفضل أعمالك السحرية.

قال الساحر:

- إنني يا مولاي قد بلغت من العُمر آخره، وضعفت صحتي، والرأي أن تختار لي غلاماً صغيراً أعلمه السحر فيكون ساحراً لك يا مولاي، فإذا مِتُّ أنا لم يَمُت سحري، وبقي الناس عبيداً لك.

ووافق الملك، ثم أمر أعوانه أن يختاروا له أذكى غلام في مملكته ليكون ساحره الجديد، فاختاروا له (عبد الله ابن التامر) أذكى غلمان المدينة.

وذهب (عبد الله) إلى الساحر في يومه الأول سعيداً مسروراً بما قد أصبح فيه من النعمة فالملابس جديدة، والأموال كثيرة، وسيصبح ساحر الملك الإله الذي يخاف منه الناس وسيصبح أشهر رجلٍ في المملكة كلها، بل وأغناهم بعد الملك وسوف يتحقق له كل ما يريد، وبدأت دروس السحر.

* * *

كان الطريق من بيت (عبد الله) إلى بيت الساحر طويلًا فربما جلس فاستراح من مشقة هذا الطريق، ولاحظ عبد الله أنه كلما مرّ على كهف صغير في الطريق سمع كلمات تصدر من شيخ كبير ينادي قائلًا:

يا حي يا قَيُّوم . . . . . . يا خالق الأرض والسماء.

ولم يجرؤ الصغير عبد الله على الدخول إلى هذا الكهف خوفاً من ساكنه الشيخ الكبير، ولكن بقيت كلماته يتردد صداها في أذنه: يا حي يا قيوم.

ووصل عبد الله إلى الساحر، وبدأ الساحر في تلقينه دروس السحر، لكنه لاحظ انشغاله.

فقال له: ما بك أيها الساحر الصغير؟

- لقد سمعت كلمات اليوم يا سيدي شغلتني.

- فما هي؟

- مَنْ هُو الحي القيوم؟ ومن هو خالق السماوات والأرض؟

فغضب الساحر واحمرّ وجهه وقال:

- إياك أن تذكر هذه الكلمات فنحن كلنا عبيداً للملك، إنك ساحر الملك الإله فتعلّم السحر يصبح كل الناس خدماً لك، وتصبح أغنى رجل في المملكة بل في العالم كله.

فسكت عبد الله، وعاد لتعلم السحر مرة أخرى، ولكنه لاحظ هذه المرة أن السحر الذي يتعلمه ما هو إلا مجرد أفكار وحيل، ومجرد خدعٍ صغيرة ليست حقيقة.

ولا زال صوت الشيخ يرن في أذنيه: يا حي يا قيوم.

بيضة تختفي داخل كُمّ عبد الله أو جيبه، ثم يخرجها من جيبه الآخر، نارٌ توقد ثم يطفئها كتب تافهة ليس فيها ما ينفع. هذا ما كان ساحر الملك يعلمه فأحسّ عبد الله أنه واحدٍ من خدام الملك ليس أكثر، وأن الملك ليس إلا بشراً ضعيفاً لا يملك النفع والضُّر لأحد، بل هو الذي يحتاج إلى الطعام إذا جاع، والماء إذا عطش، والدواء إذا مرض فيا لهذه الخدعة الكبرى التي يعيش فيها أهل المملكة.

وبينما (عبد الله) في طريقه للساحر إذ سمع الصوت تارة أخرى:

- يا حي يا قيوم.

فصمم الصغير على الدخول إلى الكهف حتى دخل فوجد شيخاً كبيراً رافعاً يديه يدعو قائلًا:

- مولاي الحي القيوم . . . رب السماوات ورب الأرض . . . أنت الإله لا سواك. . . وأنت الرب لا غيرك قدوس تعاليت، عَرشك فوق السماوات يا رحمٰن، فاغفر لي وارحمني.

ولم يشعر عبد الله بنفسه إلا وقد سالت دموعه على خديه كأنّها من لؤلؤ، فإذا بلسانه ينطق دون إرادة منه:

- آمنت بالحي القيوم.

وهنا انتبه الشيخ قائلًا: من الصغير؟

- أنا عبد الله ابن التامر ساحر الملك الصغير.

- وكيف دخلت إلى هنا؟

- سمعتك تنادي إلهك الحي القيوم وأعجبني كلامك.

- يا بُني إن الله هو خالقي، وخالقك، وخالق الملك الذي يدّعي ويزعم كذباً أنه إله من دون الله.

فقال عبد الله:

الله . . . يا له من إله عظيم لقد سمعت كلماتك، فدُلّني كيف أعبد الله فعلّمه الشيخ الكبير كيف يعبد ربه ويسبح له، فبكت عين الصغير الذي تحوّل إلى كبير بإيمانه الذي يفوق الكبار الذين كفروا بالله.

وهنا قال الراهب الشيخ الكبير:

- يا عبد الله لا تدل الناس عليّ، واكتم إيمانك عن الناس، فلو علم الملك أمرك فسيقتلني ويقتلك، ويموت الإيمان في هذه الأرض.

فقال عبد الله: الأمر ما أمر به الشيخ الذي هداني إلى الله الواحد الأحد ثم انطلق.

لم يعد (عبد الله) يهتم كثيراً بأمور السحر التي يتعلمها من الساحر فقد علم أنه كذّاب وأن الباطل سرعان ما ينكشف أمام الناس حتى ولو كانوا صغاراً أو فقراء مثله.

وكان الأهم في حياته منذ آمن بالله أن يذهب إلى كهف الراهب يسمع تسبيحاته، وترنيماته ويتعلم منه كيف يشدو بها في ليله ليتقرَّب بها إلى الله، فكان يتأخر عنده كثيراً.

فإذا ذهب إلى الساحر ضربه لأنه تأخر، وإذا عاد إلى داره ضربه أهله لأنه تأخّر فصار الصغير بين أمرين حلوهما مُرٌّ، فحدّث الراهب في أمره فقال الراهب: إذا سألك الساحر لِمَ تأخرت؟ فقل: حبسني أهلي.

وإذا سألك أهلك فقل حبسني الساحر.

ولأن الطريق بعيد فقد صدّقه الساحر فيما قال ولم يسأل أهله، وصدّقه أهله فلم يسألوا الساحر وتخلّص عبد الله من بطش الساحر، وعذاب أهله.

وبينما عبد الله يسير ذات يوم في طريقه إذ رأى زحاماً، فاقترب فإذا به يرى دابة[1] كبيرة قد سدّت الطريق فلم يستطع أحدٌ العبور أو المرور،

(١) دابة: هي كل ما يركبه الناس كالحمار، والحصان، والجمل، والجمع (دوّاب).

فالتقط عبد الله حصاة من الأرض ثم قال: اليوم أعلم أمر الراهب أحبّ إلى الله أم أمر الساحر، ثم قال:

- اللهم إن كان أمر الراهب أحبُّ إليك من أمر الساحر فأبعد هذه الدابة عن الطريق.

ثم ألقى الحصاة، فابتعدت الدابة، ومشى عبد الله في طريقه إلى الراهب وقد ملأ الإيمان قلبه، فقص على الراهب ما كان من أمره فقال له:

- يا بُنيّ إنّك اليوم خيرٌ مني، وإن الله سَيَبْتَلِيكَ(١) فإن ابْتُلِيتَ فلا تدُلّ عَليَّ ودخل الإثنان في صلاة طويلة، ودعاء وابتهال لله تعالى.

كان للملك ابنُ عم أصابه العمى منذ صغره فكان حزيناً على حاله، يبحث عن طبيب يرد له بَصره الذي فقده حتى يرى كبقية الناس، وقد عجز الأطباء عن ردّ بصره إليه، ورغم ما كان يمتلكه هذا الأعمى من ثروة إلا أن المال عجز هو الآخر عن إسعاده وردّ بصره.

فجاءه من يبشره بأن طبيباً في البلاد قد ذهب كثير من الناس فشَفَى كلّ من به مرض أو عِلَة(٢) حتى أن الجميع يزعم أن له قدرة على الشفاء، فجهّز الأعمى هدايا ومالًا ثم توجه إلى هذا الطبيب الماهر الذي يصنع ما يعجز عنه الأطباء.

ووصل الأعمى ومن معه إلى بيت الطبيب فوجدوا طابوراً طويلًا من المرضى قد وقفوا على بابه.

فاستأذنوا في الدخول عليه فإذا بهم تَدْهَمُهم المفاجأة إن الطبيب هو نفسه (عبد الله ابن التامر) ساحر الملك لكنه الآن قد صار أشهر من الجميع حتى من الملك نفسه.

فعرض الأعمى عليه الأموال والهدايا على أن يرد إليه بصره.

---

(١) سيبتليك: يختبرك ويمتحنك.

(٢) علة: مرض.

فقال عبد الله:

- ليس لي من أجر، ولا حاجة لي بالمال، وإنما حاجتي إليك أن تؤمن بالله وحده.

فقال الأعمى: ومَنْ هو الله؟

فقال: الله الذي سيشفيك من مرضك إذا دعوته لك.

- والملك؟ أليس هو الإله؟

- وهل شفاك الملك؟ إنه عبد، وأنا عبد، وأنت عبد ونحن جميعاً عبيد لله.

فمسح عبد الله بيديه على عين الأعمى فشفاه الله وعاد إليه بصره فهتف:

- آمنت بالله . . . لا إله إلا الله.

فقال الغلام الطبيب: إياك أن تدل الملك عليّ فليقتلني ويقتلك.

فخرج الأعمى مبصراً، وآمن بالله بعد كفره، وكتم إيمانه حتى عن أولاده وزوجته.

* * *

جاء أحد الحراس إلى قصر ابن عم الملك الذي ردّ الله إليه بصره فقال:

- إن الملك يطلب لقاءك

فذهب معه دون أن يحتاج إلى من يقوده في طريقه إلى الملك، فلما دخل على الملك تعجّب من حاله فقال:

هنيئاً لإبن عمنا أن رُدَّ إليه بصره.

فقال: الحمد لله على ذلك.

وسريعاً غضب الملك قائلًا: الله! أتحمد الله في مملكتي وفي قصري؟ هل آمنت بالله؟

نعم آمنت بالذي شفاني وردّ إليّ بصري أيها الملك.

- إله غيري يُعْبَد في مملكتي.

- بل الكل عبيد في مملكة الله أيها الملك.

فهاج الملك ونادى الحرس فعذبوا ابن عمه حتى دلّهم على الغلام (عبد الله) فأحضروه فعذبوه حتى دلّ على الراهب فحضر ثلاثتهم أمام الملك الظالم.

وقيد الملك الثلاثة بقيود من حديد ثم قال:

- اكفروا بالله وإلّا قتلتكم فقال الأعمى: لا أعبد إلا الله ولا أشرك به شيئاً.

فقتله الجنود بأن شقّوه بالمنشار نصفين.

ثم قالوا للراهب: اكفر، وإلا فعلنا بك ما فعلنا بالأعمى.

فثبت على إيمانه فشقّوه هو الآخر بالمنشار نصفين.

وجاء دور (عبد الله) فقالوا له: اكفر بالله وإلا صرت مثلهم.

فقال عبد الله: الله ربي لا أشرك بالله شيئاً.

فوضعوا المنشار على رأسه وأرادوا قتله إلا أن المنشار توقف عن العمل، فجربوا السيف فلم يقتل عبد الله، فجربوا الرماح، والسهام، والسِّكين، فلم يفلحوا.

ووقف الملك حائراً أمام هذا الغلام لا يدري ماذا يفعل؟!

- اللهم اكفنيهم(١) بما شئت!!

كان هذا هو دعاء الغلام فوق قمة جبل من الجبال ومعه اثنان من الحرس يريدان إلقاءه من فوق الجبل ليموت بعد أن نفذت كل الوسائل والحيل لقتله.

(١) أي يا رب أبعدهم عني.

واستجاب الله لدعاء الصغير فاهتز الجبل، وسقط الحرَّاس فماتوا، وبقي عبد الله حياً.

فعاد إلى الملك مرة أخرى يدعوه إلى الله، فازداد الملك غضباً على غضب فأمر جنوده بوضع الغلام في قُرْقُور [١] والذهاب به إلى وسط البحر ثم إلقائه هناك ليموت غريقاً، ووسط الأمواج العاتية علا صوتُ عبد الله داعياً ربه:

- اللهم اكفنيهم بما شئت.

فانقلب القُرقُور، ونجا عبد الله من الغرق ثم عاد إلى الملك فقال له:

- إنك لن تقتلني إلا إذا فعلت ما آمُرُك به.

قال الملك: فما تأمرني.

- قال: اجمع الناس في صعيد [٢] واحد، واربطني في جِذع شجرة، ثم خُذ سهماً من كِنَانتي [٣] وضعه في القَوْس وقل: بسم الله رب الغلام.

فإذا رميتني بالسهم قتلتني، فوافق الملك على ما قاله عبد الله ليتخلص منه.

واجتمع أهل المملكة في صعيد واحد، فرأوا عبد الله مقيداً في شجرة وإذا بالملك قد أمسك بكنانة عبد الله فاستخرج منها سهماً، فسكت الجميع، وارتفع صوت الملك وهو يقول:

- بسم الله رب الغلام.

فرمى السهم فأصاب أنف عبد الله فمات شهيداً وانتبه أهل المملكة إلى أن ملكهم عجز عن قتل الغلام الصغير إلا بعد أن قال: بسم الله فصاحوا جميعاً: آمنّا بالله رب الغلام.

---

(١) قرقور: قارب.

(٢) صعيد: مكان مرتفع.

(٣) كنانة: جعبة السهام وهي وعاء من قماش.

ومات جسد عبد الله وبقيت دعوته، وبقي إيمانه، فاحتار الملك فقد صار الكل في مملكته عباداً لله، لا عباداً له كما كانوا، فأمر بحفر أُخْدُودٍ(١) كبير.

ثم أمرهم فأشعَلُوا فيه ناراً عظيمة، وجاؤوا بالمؤمنين واحداً تلو الآخر ونادى الجنود:

- إما أن تكفر بالله وإما أن نلقيك في أخدود النار.

فلم يبق أحدٌ ممن آمن إلا وحرقوه في الأخدود، حتى بقي امرأة على يديها رضيع لها، فأخذوا رضيعها وقالوا:

- إما أن تعودي عن الإيمان بالله، وإلا أحرقنا صغيرك.

فنظرت الأم إلى رضيعها، وأرادت أن تنطق بكلمة الكفر إلا أن الله شاء لها ألّا تكفر، فنطق الطفل الرضيع قائلًا:

- يا أمّاه اصبري فإنك على الحق المبين.

فرفضت الكفر، ولم ترض إلا بالإيمان فأُلقي الرضيع في الأخدود، ثم ألقت وراءه، لينتظر الملك وجنوده العذاب الأليم يوم القيامة.

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ * إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ * وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ * وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ * ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج: ٤-١٠].

---

(١) الأخدود: حفرة عظيمة وعميقة على شكل مستطيل.

الدروس المستفادة

(١) الإيمان بالله أقوى من كل شيء.

(٢) السحر خدعة من الخدع لا تنفع ولا تضر.

(٣) الساحر إنسان شرير مطيع للشيطان.

(٤) الله تعالى يحفظ عباده المؤمنين.

الأسئلة

- لو كنت عبد الله ابن التامر فماذا تفعل أمام هذه الأحداث:

- هل كنت ستؤمن بالله أم تعمل ساحراً وتصبح أغنى رجل في المملكة؟

- هل كنت ستخاف من الدابة وتسكت أم تدعو الله تعالى؟

- هل كنت ستخاف من الملك إذا هددك بالقتل أم تصبر ولا تكفر؟

(أجب عن هذا السؤال بمساعدة والديك أو معلمك).

- ما هو رأيك في الساحر؟

- اختر من بين الأقواس:

- كان عبد الله يشفي المرضى بإذن . . . . . .

(الله - الملك - الشيطان).

- وكان قد أسلم على يد . . . .

(الأعمى - الراهب - الساحر).

- ودعا الله فقال اللهم . . . .

(أبعدهم - اكفنيهم - احرسني)

بما . . . . (قدرت - شئت - اخترت).

- هات مرادفات [معاني] الكلمات الآتية:

١ - الأخدود

٢ - القرقور

٣ - الكنانة

- اذكر الدروس المستفادة من هذه القصة؟

الإجابات

(الله - الراهب - اكفنيهم - شئت).

(حفرة عميقة في الأرض على شكل مستطيل - القارب - جُعبة السهام).

الفهرس

[١] قابيل وهابيل ٣
[٢] هاروت وماروت ١٨
[٣] ذو القرنين ويأجوج ومأجوج ٣٠
[٤] موسى والخضر عليهما السلام ٤١
[٥] موسى وقارون ٥١
[٦] بنو إسرائيل في أرض التيه ٥٨
[المن والسلوى - السامري - بقرة بني إسرائيل] ٥٨
[٧] الأرض المقدسة ٧١
[٨] طالوت وداود وجالوت ٨٦
[٩] سليمان وبلقيس والهدهد ١٠٣
[١٠] أصحاب القرية ١١٩
[١١] أصحاب الكهف ١٣١
[١٢] الإنسان والشيطان ١٤١
[١٣] أصحاب الجنة ١٤٩
[١٤] أصحاب الأخدود ١٦١
الفهرس ١٧٥